

نشأته وتطوره

د. عادل الألوسى

مكتبة الدار العربية للكتاب

الخط العربي
نشأته وتطوره

"لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها ، لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط : يقرأ بكل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد مع كل زمان".

الخليفة المأمون

هذه هى رسالة الكتاب.. أن الخط العربى كائن حى، يفرض نفسه وتواجده بين سمات الحضارة العربية بقوة، ويحمل الكتاب رسالته عبر أربعة فصول، يبدأ أولها بالتدوين عند العرب ووسائل هذا التدوين، ثم يتناول فى الباب الثانى نشأة الخط العربى وتطوره، عبر العصور المختلفة : فى صدر الإسلام .. فى العصر الأموى .. وفى العصر العباسى ونبذات عن أشهر الخطاطين .. ثم يحلل فى الباب الثالث أنواع الخط العربى مع إضافة أنواع الخط أخرى من الخطوط .. أما فى الباب الرابع فيتناول المظاهر الحضارية للخط العربى، منهيًا رحلته بتحليل لأهم المصطلحات الواردة فى الكتاب وتحليل مصادر الخط العربى، مع ذكر مصادر البحث، ونماذج من الخطوط العربية القديمة، مؤكدًا فى كل ذلك الرسالة التى يحملها فى وجدان الحضارة والحياة الإسلامية..

مكتبة الدار العربية للكتاب




6 222006 315498

الخط العربي

نشأته وتطوره

الألوسى ، عادل
الخط العربى : نشأته وتطوره /د. عادل الألوسى
.ـ ط1.ـ القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب ، 2008
104 ص ؛24 سم .
تدمك : x ـ 602 ـ 293 ـ 977
1 ـ الخط العربى ـ تاريخ
أ ـ العنوان 411,6

مكتبة الدار العربية للكتاب
16 عبد الخالق ثروت القاهرة .
تليفون: 23910250 202+
فاكس: 23909618 202+ ـ ص.ب 2022
e-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com
رقم الإيداع : 2697 / 2008

الطبعة الأولى : محرم 1430 هـ ـ يناير 2009 م
الإخراج الداخلى والغلاف : حامد العويضى

الخط العربى

نشأته وتطوره

د. عادل الألوسى

مكتبة الدار العربية للكتاب

قيل في الخط :

■ الخط لسانُ اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووصيُّ الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند الفُرقة، ومُحادثهم على بُعد المسافة، ومستودع السر، وديوان الأمور.

■ رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قريش أهل الله، وهم الكَتَبة الحَسَبَة».

■ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «عليكم بحُسن الخط؛ فإنه مفتاح الرزق».

■ وروي في الخبر المأثور: «مَن كَتَبَ: بسم الله الرحمن الرحيم فحَسَّنَه، أحْسَنَ الله إليه».

● عن «حكمة الإشراق» لمرتضى الزبيدي●

■ «الخطوط رياضُ العلوم: روحها البيان، وبدنها السرعة، وقَدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول، وتصنيفها كتصنيف النغم واللحون».

● عمرو بن مسعدة●

■ «الخط هندسة روحانية، وإنْ ظهرت بآلة جسمانية».

● إقليدس●

■ قال المأمون: «لو فَاخَرَتْنَا الملوكُ الأعاجمُ بأمثالها، لفَاخَرْنَاهَا بما لنا من أنواع الخط: يُقْرأ بكل مكان، ويُترجم بكل لسان، ويوجد مع كل زمان».

● حكمة الإشراق●

■ «الخط مَلَكَة تنضبطُ بها حركة الأنامل بالقلم، على قواعد مخصوصة، كحركة الأنامل على أوتار آلات اللهو والطرب....».

● محمد طاهر الكردي●

■ قال النَّظَّام: «الخط مَسْمَطُ الحكمة، وبه تفضل شذورها، وينتظم منثورها».

هذا، وقد أدرج السيوطي في رسالته: «رشف الزلال» قطعة شعرية أورد فيها أنواع الخطوط وأسماء الأقلام المتداولة في عصره، فقال:

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له ... ثلث الجمال وقد دَقته أجفانُ
خدٌّ عليه رياض الحسن قد طلعت ... وفي حواشيه للصدغين ريحانُ
محقق نسخ حبرى على هواه ومن ... توقيع دمعيَ بالمنثور بُرهانُ
ياحسنَ ماقلم الأشعار خُط على ... ذاك الجبين فلا يسلوه إنسانُ
أقسمت بالمصحف الشامي ومصحفه ... مامرَّ بالبال يومًا عنك سلوانُ
ولا غبار على حبي فعندك لي ... حساب شوق له في القلب ديوانُ

* * *

المحتويات

المحتويات

الموضوع

الباب الرابع

المظاهر الحضارية للخط العربي

المقدمة

"خطٌّ" كلمة من حَرْفَيْن،ثانيهما مشدّد، وهذان الحرفان يشكّلان لفظًا دخل معاجم اللغة العربية(1) مؤسِّسًا لاشتقاقات عديدة، ومعانٍ مختلفة.

إذًا، فَللخَطِّ صلَةٌ باللغة من حيث الاشتقاق والمعنى، وصلة من حيث الشكل والتطور، إذْ رافق الخَطُّ اللغة في كل مراحلها، وتطور معها تطورًا حيّا على مر العصور.

وأصل الخط العربي موضوع طويل، يستغرق دراسة مستفيضة ومتخصصة ودقيقة، فالروايات فيه عديدة ومختلفة، تناولها المستشرقون والعرب: القدماء والمعاصرون، ولكن دراسة النقوش والكتابات تشير إلى أن الخط العربي - كما يرى المتخصصون (2) - تطور من الخط النبطي (والأنباط عرب) عن طريق الأنبار، ثم الحيرَة، ثم اتخذ الخط العربي الأول شكله في القرنين: الرابع والخامس الميلاديين، وكان موجودًا في سورية، ثم انتشر بطريق التجارة إلى شمالها، وربما إلى الحجاز، وكان موجودًا في الحيرة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

تقول الدكتورة سهيلة الجبوري(3): "حين ظهر الإسلام، رافقته نهضة علمية ثقافية قوية، واتسعت الحاجة إلى الخط، وزاد الاهتمام به".

(1) الزَّبيدي: تاج العروس، والزمخشري: أساس البلاغة، والبستاني: محيط المحيط.

(2) محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب، ص72.

(3) هي الباحثة العراقية المتخصصة في تاريخ الخط العربي، لها مؤلفات عديدة في تاريخ الخط وأصوله، ومقالات وبحوث مهمة في فن الخط العربي.

وقد تزامن تطور الخط العربي مع تطور الثقافة العربية وعلومها ومعارفها، وذلك لأن للخط صلة بالكتابة؛ فالخط وسيلةُ التعبير، وجَمْع لهذا التعبير وأداة له؛ قال تعالى: ﴿أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان﴾(1)، أي: جَمَعَهُ.. وكقول الشاعر:

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَدِيلَة أَوْعَبُوا   شُعَرَاءَ مِنْ سَلْمَى لنا وتَكَتَّبوا (2)

ولقد كانت العناية بجودة الخط عظيمة في الإسلام؛ وكان الخَطّاطُون أرفع الفنانين مكانةً في العالم الإسلامي لانشغالهم بكتابة المصاحف ونَسْخ كُتب السيرة والتاريخ، والأدب والشعر(3).

وقد حرص الخطاطون على الفخر بآثارهم الفنية، فذَيَّلُوها بإمضاءاتهم.. وجدير بنا أن نلاحظ أن الخط عند المسلمين كان في معظم الأحيان غرضًا مقصودًا لذاته.

والحق، إن تجويد الخط هو الميدان الوحيد في الفنون الإسلامية الذي نعرف أعلامه، ونستطيع أن نتوقف عند سيَرهم.. فلقد عرف المسلمون ضروبًا شَتَّى من الخطوط العربية المستقيمة، كالخط الكوفي، والمُدَوَّرَة، كالخط النسخي، والثلثي، والريحاني، والديواني، والتعليق، والإجازة، والرِّقعة، وغيرها؛ وكانوا في تجويدهم لهذه الأنواع من الخطوط يقدمون صيَغًا ونماذجَ تتسم بالانسجام والاتزان، والرشاقة وحُسْن الرَّوْنَق، وخاصة في كتابتهم للمصاحف الشريفة، وكُتُب الأثر؛ وقد كسوا أكثرها طابعًا زخرفيًا جميلاً وجذابًا، ولكن المقام هنا لايتسع للحديث المُسْهَب، وحَسْبُنا أن نقدم عرضًا موجزًا ومُركَّزًا لتاريخ الخط وأنواعه، وما يتصل به من مستلزمات الكتابة، كالورق والحبر والأدوات.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

د. عادل الألوسي

(1) سورة المجادلة: من الآية 22 .

(2) محمود شكري الألوسي: مصدر سابق.

(3) الدكتور عادل الألوسي.

الباب الأول

التدوين عند العرب

- الرُّقُم (الألواح) الطينية.
- الرَّق والجِلْد.
- البردي.
- الورق (الكاغَد).

التدوين عند العرب

للتدوين أهمية عظمى في إيضاح النص المكتوب؛ ذلك أن المادة المدَوَّنة هي الأساس الذي منه يلتقط المرء صنوف المعرفة، والتدوين ـ بالشكل المألوف الذي يؤدي إلى صور المعرفة متعددة الألوان ـ لم يكن معروفًا قبل الإسلام، باستثناء حالات قليلة لاتنهض لكي تشكل أساسًا يمكن أن تنطلق منه إلى عطاء يؤدي إلى معرفة واسعة.

ولقد أدت الاكتشافات الأثرية إلى أن الحِمْيَرِيِّين كانوا يُدوِّنون أخبارهم، وكثيرًا من حوادثهم على الأحجار بخطهم الخَاص بهم. وعلى أطراف الجزيرة العربية، عرف أهالي الحِيَرة الكتابة، ولكن بشكل محدود. وفي الحجاز وُجِدَ عدد قليل من الناس يعرفون الكتابة، وكانت قِلَّة من الشعراء تعرف الكتابة، وكان بعضهم يكتب قصائده وينسّقها بنفسه.

ولما أُنزل القرآن الكريم لم يكن بدٌّ من كتابته.. وكان للوَحْي كُتَّاب.. وشجع الإسلام على التدوين.. وجاء في الآية الكريمة: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (1).

كما شجعت حضارة العرب ومعارفهم وعلومهم وابتكاراتهم التي سُجِّلَت ودُوِّنَت في الوثائق والمخطوطات على الكتابة والتدوين.

كانت الوثائق القديمة في حضارة الإنسان مواد مختلفة، فكان يُكتب على الطين،وعلى الرق والجلود، وعلى البردي، حَسَبَ توافر تلك المواد وشيوعها وانتشارها في العالم القديم (2).

(1) سورة القلم: الآية الأولى.

(2) Abbott,N.:The rise of the North Arabic Script.p.60.

المواد التي استعملت في الكتابة (قبل عصر الورق)

1ـ الرُّقُم : (الألواح) الطينية:

كان العراقيون القدماء يكتبون معارفهم ومعلوماتهم على الطين النيء الليِّن، ثم يُجفِّفُونه تحت أشعة الشمس، أو يشوونه بالنار ليكتسب الصلابة، ومن ثَمَّ تَثْبُتُ الكتابة عليه، وقد كان الخط المسماري هو الخط الشائع في تلك العصور القديمة. (اللوحة رقم1).

اللوحة رقم (1)

وتعتبر مكتبة آشور بانيبال خزانة كبيرة لتلك الألواح الطينية؛ وقد عُثر عليها في "نَيْنَوَى" عاصمة الآشوريين، ووُجِدَ أنها قد حَوَتْ شتى صُنُوف المعرفة، وباللغات السومرية والأكدية والآشورية.. والرقم الطينية هي المصادر الأولى لتاريخ العراق ووادي الرافدين، وقد وصلت إلينا الآلاف منها بحجوم وأشكال مختلفة، غير أن الشكل المستطيل كان هو الشكل السائد (1).

ومن خواصّ الطين المَفْخُور أو المشوي أنه يقاوم الزمن، على حين تكون "الرقم" غير المفخورة ضعيفة في مقاومة المؤثرات الزمنية.

كما كَتَبَ العراقيون القدماء على مواد حجرية وصخرية، ومثال ذلك: مسلة حَمورابي الشهيرة؛ وقد ثَبَتَتْ تلك المواد، واستطاعت البقاء عبر تلك العصور الطويلة، في حين تعرَّض الكثير من المواد الطينية إلى التلف بفعل هشاشتها وتأثرها بالماء والأملاح.

ويجري ترميم الألواح الطينية على نحو يماثل ترميم صفحات الكتاب اليوم، وذلك للاحتفاظ بالنصوص الأثرية المكتوبة عليها.

2ـ الرَّق والجِلْد:

يعد الرَّقُّ من المواد الأُولَى والمبكرة للتدوين؛ وقد ظهر في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد.. وكانت الضرورة والحاجة هي الباعث على قيام صناعة الرَّق، وذلك حين ندر استعمال البردي في مصر لبعض الظروف؛ وقد كانت الرُّقُوق تصلح للكتابة على وجهيها، ناهيك عن متانتها وقدرتها على مقاومة الزمن.

وقد ورد ذِكْرُ الرَّقِّ في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿والطُّور (1) وكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ (3)﴾ (2).

والرَّقُّ يُؤخذ من جلود الحيوان؛ وقد ورد ذكره في كتاب (الفهرست) لابن النديم، والذي تحدَّثَ فيه عن الكتب القديمة التي سُطِّرَتْ على الرَّقِّ، وكان الرَّقُّ أَفْضَلَ من الجلد على الرغم من ارتفاع سعره، وقد اقْتُصِرَ استعماله في أول

(1) طه باقر: تاريخ الحضارة العراقية القديمة، ص 27.

(2) سورة الطور: الآيات 1-3.

الأمر على كتابة المصاحف، وتدوين الوثائق؛ وذُكِرَ أن زيد بن ثابت قد كتب القرآن الكريم لأبي بكر الصديق على اللِّخَاف (1)، والجلد، والأكتاف، وعظام أكتاف الإبل، ثم أُعيد نسخه لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم أجمعين.

وأفضل أنواع الجلود في صناعة الرَّق: جلد الغزلان والمَعْز والخراف، (توجد نماذج منها في دار الكتب المصرية، ومكتبات بغداد، وإسطنبول، وبرلين، وباريس).. وقد استمرَّ استخدام الرَّقِّ إلى جانب الورق بعد اكتشافه، فكُتِب الكثير من المصاحف ـ ولفترة طويلة ـ على الرَّقِّ، وبعض هذه المصاحف يعود إلى القرون: الثالث والرابع والخامس الهجرية (2).. وقد كانت الرُّقُوق التي تُكتب عليها المصاحف كبيرة الحجم.

واستُخدم الرَّقُّ في المشرق العربي، وفي مغربه على حدٍّ سواء؛ لأن البردي لم يكن يوجد إلا بمصر، وقليل من البردي كان يُجلب للمغرب من مصر أو صقلية؛ ولذلك استعملوا الرَّقَّ في كتابة المصاحف، والدفاتر والوثائق.

وقد برع أهل إفريقيا في تجهيز الرَّقِّ وصَقْله وصَبْغه بالألوان، والراجح أن أهل الأندلس قد أخذوا صناعة تجهيز الرَّقِّ، ثم الكاغَد، عن أهل القيروان، إلى جانب المصاحف المكتوبة على الرَّقِّ، والعقود والصكوك التي استمرت كتابتها على الورق حتى أواخر القرن الثامن الهجري.

ومع الزمن، قَلَّ استعمالُ الرُّقُوق، وارتفعت أثمانها بسبب كثرة الطلب عليها وندرة وجودها، وكان الرَّق يُغسل أحيانًا لإزالة ما عليه من الكتابة، إمَّا بالغسيل، أو الدَّلْك، أو الكَشْط، وذلك ما كان يُعرف بـ"الطِّرْس"(3).

وقد عرف المصريون القدماء الرَّقَّ وكتبوا عليه، بل غَطُّوا به أيضًا أُطُرَ الطبول، وأدخلوه في صنع بعض الآلات الموسيقية الأخرى، كالعُود والطُّنْبُور (4).. كما عرفه العرب في الجاهلية وكتبوا عليه، يدلنا على ذلك قول الشاعر:

بَنِيَّ ازبُروا في الرَّقِّ مني وصيةً   لما كنت عن آبائي الغرابيرا (5)

(1) اللِّخاف: أحجار بيضاء عريضة رقيقة، مفردها: لَخْفَة.

(2) نشر المستشرق موريتز نماذج منها، راجع: Grohmann, A.: A survey of Arabian, p .92.

(3) د. محمد إبراهيم السيد: مقدمة للوثائق العربية، ص7.

(4) ألفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ص51.

(5) ازبروا: اكتبوا، يقال: زَبَرَ الكتابَ: كَتَبَهُ، أو أتقنَ كتابته.

وكذلك قول حسان بن ثابت:

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ   كَخَطِّ الوحي في الرَّقِّ القشيب

وقول المُرَقِّش:

الدار قَفْرٌ والرسوم كما   رقش في ظهر الأديم قلم

وقد كثرت الكتابة على الرَّقِّ منذ عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم؛ فقد كتب عليٌّ بن أبي طالب كرم الله وجهه على رَقِّ غزالٍ (1)، وكُتبت أجزاء من القرآن على الرقاع (2).

ويُعَدُّ الجلدُ والرَّقُّ ـ كلاهما ـ من أقدم المواد التي كَتَبَ عليها الإنسانُ فكره، وسَطَّرَ عليها حضارته وأمجاده؛ فالجلد من المواد التي سُطِّرَتْ عليها الكتابة المصرية القديمة (3)، وهناك أمثلة مادية لها ترجع إلى نحو 2000 عام قبل الميلاد؛ كما استعملت لفائف الجلد في الدولة الآشورية؛ ويظهر أن استخدام الجلد كان شائعًا في مصر، وفي بلاد مابين النهرين(4).

واستُعمل الجلد في سورية وفلسطين لتدوين الأسفار الدينية القديمة، وقيل: إنه وُجِدَت في خزانة المأمون وثيقة كَتَبَهَا على الجلد عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعروف أنه كثرت الكتابة على الجلد في أيام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كما كُتبت عليه أجزاء من القرآن.

صناعة الرَّق:

إن طريقة صناعة الرَّق قد تطورت بشكل عام، نتيجة تراكم الخبرة في هذا المجال؛ فقد حُضِّرَ الرَّق في بادئ الأمر من طبقة الجلد المختارة كلها، في حين استخدمت طبقة الجلد الداخلية فقط في تحضيره في الفترة اللاحقة،ويُصَنَّعُ الرَّقُّ عبر عدة خطوات : فبعد معاملة الجلد بمادة الشَّبِّ وإزالة الصوف أو الشعر منه تُشْطَر ـ بواسطة سكين خاصة حادة ـ طبقةُ الجلد الخارجية عن طبقته الداخلية، وتُشَدُّ الثانية على إطار ملائم، ثم يعمل الصانع على دلك جانبيها بآلة خاصة هلالية الشكل، فتزداد شدتها تدريجيًا.. بعدها يُرَطَّبُ بالماء الساخن،

(1) ابن دريد: الاشتقاق، ص226.

(2) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص421.

(3) ، (4) راجع: «البحث القيّم» للدكتور عبدالعزيز الدالي: البرديات العربية ـ القاهرة، 1983م.

وتستمر عملية الدَّلْك على الوجهين بالتعاقب بحجر مساميٍّ خاص، ثم يتم تجفيف الجلد بعد ذلك تدريجيًا يكون بعدها صالحًا للاستعمال؛ وقد يكون في بعض الأحيان قَصْرُ لون الجلد - أي إزالة لونه ضروريًا - ليكون الرَّق أبيض، كما قد تستخدم بعض المساحيق - كالنُّورة مثلاً - لتسوية السطح؛ ويكون السطحُ الداخلي للرَّقِّ عادةً أفضلَ وأكثر ملاءمةً للكتابة، غير أنه في بعض الأحيان قد يستخدم وجها الرَّق لهذا الغرض.

صناعة الجلود أو (الدباغة):

تسمى عملية صناعة الجلد بالدباغة، وهي معروفة منذ أقدم العصور التاريخية؛ إذ إن الأقوام في تلك العهود كانت تتخذ كساءَها من جلود الحيوانات وفرائها.

وقد انتشرت دباغة الجلد انتشارًا واسعًا جنوبيّ الجزيرة العربية، وبنيت المدابغ فيها حتى اليمن، واشتهرت الطائف ونَجْرَان وجَرْش وصنعاء وزَبيد بصناعة الجلود، والتي كانت تُصَدَّر بكميات كبيرة (1).

والدباغة في حد ذاتها عملية كيمياوية بيولوجية، تتم بمعاملة جلد الحيوان بمواد كيمياوية خاصة، وهذه المواد تُكسب الجلد خاصية معينةً يصبح بواسطتها صالحًا للاستعمال. وتتلخص عملية الدباغة في الخطوات الآتية:

(أ) **إزالة الشعر من الجلد**، وذلك بكَشْط الشَّعر بالسكين، وتنظيفه من اللحم الزائد، أو معاملة الجلد بمواد قاعدية، مثل : "النُّورَة" والجير الحي (ومحلوله في الماء) والجير المطفأ.

(ب) **معاملة الجلد بمواد نباتية دابغة**، وهذه المواد كثيرة جدًا، ومثال ذلك: العَفْص، والبلّوط، وقشور الرمان، والسُّمَّاق، وغيرها.. وسوف نشير إلى هذه المواد عند دراسة الأحبار وصناعتها.

(ج) **صقل الجلد المدبوغ وصبغه وتجفيفه**، ولايسعنا - في هذا المقام - أن نخوض في الناحية الكيمياوية لهذه الصناعة، ولكن سنكتفي بالإشارة إلى أن الدباغة تختلف باختلاف الجلد، فلكل نوع طريقة خاصة في دباغته، وبالأخص المواد الدابغة التي تُستعمل في إعداده، فالجلد السميك مثلاً يُدبغ بمواد غير التي

(1) ابن حوقل: المسالك والممالك، ص43، والمقدسي: أحسن التقاسيم (ط. ليدن)، ص 87 – ص98.

تستعمل في دباغة الجلد الرقيق.

وما يهمنا في حديثنا هذا هو كيفية إعداد الجلود الصالحة لتجليد الكتاب، وخاصةً فيما إذا أريد غلاف جيد النوعية، فالجلد الجيد يجب أن يكون رقيقًا، ناعمَ الملمس، لَمّاعًا. وأفضل مادة دابغة لهذه الجلود تتخذ من ثمار شجرة السُّماق (وهو السَّاق الذي يستعمل مطيبًا في بعض الأكلات الشعبية كالكباب أو السمك المقلي).

وتكمن هذه المواد الدابغة في أجزاء بعض النباتات، ولكل مادة منها تركيب معين، ولكنَّ الأساس فيها واحد. وفيما يلي الصيغة التركيبية للدباغه:

(أ) جُزَيء واحد من سكر العنب.

(ب) وترتبط به أربعة جزيئات من حامض العَفْص؛ وهذا الحامض قد يكون أُحاديًا أو ثنائيًا أو ثلاثيًا.

هذا.. وإن الدِّبَاغ الموجود في السُّمَّاق يدبغ الجلود الرقيقة، كجلود الغزلان والحيوانات الصغيرة، ويكسبها رَوْنَقًا جميلاً براقًا، ونعومةً ممتازة. ومثل هذه الجلود تستعمل الآن في صناعة المحافظ الجيدة، والحقائب النسائية، والقفازات "الكفوف" الجميلة.

وخلاصة القول: إن صناعة الجلود ودباغتها كانت من الصناعات المشهورة في عهد النهضة العربية الإسلامية، فقد مَهَرَ العرب في صناعة الجلود الممتازة، واستعملوها في أغراض شتى، ومنها عملوا الأغلفة النفيسة لتجليد المخطوطات.

3 - البردي:

يؤرَّخ ميلاد علم البردي Papyrology بعام 1877م؛ إذ عُثر على مجموعة من أوراق البردي العربية في منطقة الفيوم بمصر، واكتُشفت برديات كثيرة أخرى بعد سنوات، نُقل معظمها إلى متاحف فيينا، وبرلين، وأكسفورد، وباريس (1).

والبردي نبات قديم، ينبت في الأراضي شديدة الرطوبة بديار مصر، وخاصة في مستنقعات دلتا نهر النيل، وقد ذكره ابن البيطار في كتابه المعروف: (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) (2)، كما تحدث عنه القلقشندي في (صبح الأعشى)(3)،

(1) د. عبدالعزيز الدالي: البرديات العربية، ص50.

(2) في الجزء الأول من الكتاب، ص87.

(3) في الجزء الثالث من الكتاب، ص 307.

والمقريزي في (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) (1) . وللبردي تسميات عديدة، وَرَدَ بعضُها في المعاجم العربية (2).

عرف المصريون القدماء هذا النبات وأفادوا منه، فصنعوا منه نوعًا من القماش والقوارب، كما صنعوا منه ورقًا كتبوا عليه، وكان ذلك ممَّا سَاعَدَ على تقدم الفكر والآداب والثقافة القديمة لمدة أربعين قرنًا، كما كان مادة للثقافة الإسلامية مدة ثلاثة قرون.

وكان يُلَفُّ دَرْجُ البردي بلفافة من الرَّقِّ؛ وذلك لأن البردي مادة هَشَّة؛ وكانت الأدراج تُحفظ عادةً في وعاء زجاجي أسطواني الشكل، أما الأدراج الصغيرة فتحفظ في جرار فخارية لتجنب الرطوبة.

وكان يُكتب على أوراق البردي بقلم عريض، مائل القطْع أو الرأس، أو بفرشاة رقيقة ذات خط سميك.

وعندما فتحت مصر تغير شكل الكتابة، وخاصةً في زمن الخليفة عبدالملك ابن مروان (74 أو 75هـ).

وكان للبردي مصانع عديدة، من أقدمها : مصنع في الإسكندرية بمصر، ومصنع في سامرَّاء أقامه الخليفة المعتصم بالله في عام 221 هـ(3)، وكان قد استعمله اليونان من قبل ـ كما ذكر هيرودوت في مقدمته.

وكانت أثمان الأوراق البردية تختلف بحسب أصنافها؛ وكان الدَّرْج لايُصنع إلا من أجود أنواع البردي، أما عن استعماله، فقد صار الاقتصاد فيه أمرًا لازمًا، حتى لقد أشار المؤرخون إلى أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز (102هـ) أمر بتحديد استعماله، فأصبح يُكتب على وجه الورقة وظهرها(4).

وقد وصلت إلينا نماذج رائعة من أوراق البردي تحمل على صفحاتها تاريخًا مجيدًا، وفكرًا وثقافةً وجمالاً.

---

(1) في الجزء الأول من الكتاب، ص43.

(2) انظر (لسان العرب) لابن منظور، مادة (بردي).

(3) اليعقوبي: البلدان، ج1، ص126.

(4) القلقشندي : صبح الأعشى، ج2، ص 434.

الورق، وحركة الوراقة:

إن أقدم النماذج الورقية التي عَثَرَ عليها الآثاريون حتى الآن تعود إلى عام 105م، وقد تم العثور على هذه النماذج، في مناطق مختلفة من الصين، وقام المختصون بفحص بعض أقدم النماذج فتبين لهم أنها مصنوعة من بقايا بعض الألياف النسيجية، وكان الصينيون قد استعملوا الفرشاة للكتابة على هذا الورق. وقد ظلت صناعة الورق مقتصرة على أهل الصين لمدة تُقَدَّر بخمسمائة عام؛ حيث انتشرت بعدها في جُزُر اليابان، وجنوب شرقي آسيا، ثم وصلت إلى بغداد في نهاية القرن الثامن الميلادي، ومنها انتقلت إلى دمشق، ثم القاهرة، لتصل إلى إسبانيا على أيدي العرب حوالي عام 1151م.

وكان ظهور وتطور صناعة الورق ـ ومن ثَمَّ انتشاره ـ قد ساعد على انحسار استعمالات البردي والرَّقِّ، وخاصةً في أغراض التدوين والتوثيق.

ويقال: إن عمر بن عبدالعزيز استخدم الورق في أعمال التدوين في سنة88هـ، وإن هارون الرشيد أنشأ مصنعًا للورق في بغداد في سنة 117هـ، وكانوا يُطلقون عليه ـ أو على نوع خاص منه ـ اسمَ : الكاغَد.

كان الورق في أول الأمر سميكًا، داكن اللون، خشنًا، ولكن لمَّا تقدمت به الصناعة في القرنين: الخامس والسادس الهجريَّيْن، تطورَ حالُهُ، وتحسنت صناعته.

وهكذا، نجد أن الورق كلما تطور اتسع استعماله؛ فذهب إلى الشَّمال الإفريقي، ووصل بلاد اليونان، غير أنه لم يظهر بمصر إلا في نهاية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، بسبب تمسُّك أهل مصر باستخدام البردي، ولكنْ في بداية القرن الرابع الهجري انتشر الورق في مصر، وأخذ البردي في الانزواء.

ويذكر لنا ابن خلدون في مقدمته: أن العرب عنوا بتدوين المراسلات والصكوك المهمة على الورق، وقدَ انتقلت صناعة الورق إلى أوروبا عن طريق تونس وصقلية وجنوب إيطاليا.

الورق (الكاغَد):

الكاغَد (بفتح الغَيْن المعجمة) لفظ مُعَرَّب، وهو: القرطاس، وبائع الكاغَد يسمى: الكاغَديّ. والكاغَد يصنع من: أغصان وأوراق الشجر، قال الأخطل:

فكأنما هي من تقادم عهدها   ورق نشرن من الكتاب بوال

وقد ذكر المؤرخون: أن لفظ الورق كان يتردد في كلام العرب القدماء باعتباره اسمًا لجلود رقاق يُكتب فيها، ولفظ الورق مستعار من ورق الشجر، الواحدة: ورقة، وجمعها: أوراق. وقد جاء في قواميس اللغة: (الورق: أدم رقاق، وواحدتها: ورقة.. ومنها ورق المصحف. وحرفة الورق: الوراقة، ورجل ورَّاق: هو رجل كاتب) (1).

وقد ذُكر الكاغَد والورق في الكتب القديمة. قال القزويني (ت 682هـ): إن الكاغَد السمرقندي لا يوجد مثله في البلاد، ولمّا فتح العرب المسلمون سمرقند سنة 712م وجدوا فيها صناعة الكاغَد، فساعدوا على تأسيس صناعته وتطويرها.

وذكر ابن خرداذبة في كتاب: (المسالك والممالك) أن من بين أهل الصين مَن كان يتقن صناعة الورق أو الكاغَد، ومنهم من كان يعلّم العرب هذه الصنعة، وقد كانوا يصنعونه من الحشيش أو من شرانق الحرير.

وجاء في (صبح الأعشى) (2) أن الصحابة - رضوان الله عليهم - أجمعوا على كتابة القرآن الكريم في الرَّقّ، لطول بقائه، وبقي الناس على ذلك إلى أن وَلِيَ الرشيد الخلافة، وكثر الورق وفشا عمله بين الناس، فأصَرَّ ألاَّ يكتب الناس إلا في الكاغَد.

وقد أُسست أول صناعة للورق ببلاد العرب في بغداد، ثم انتشرت بسرعة فائقة في باقي البلاد الإسلامية، كسورية، ومصر، وشمال إفريقيا، والأندلس. واستطاع العرب تطوير صناعة الورق، فاستعملوا الكتان والقطن في صناعته؛ لأنهما أرخص سعرًا من الحرير، ولوجودهما في بلادهم بكثرة.. وأخيرًا صنعوا الورق من النفايات والخِرَق البالية،ويُعَدُّ هذا أهم اختراع عربي؛ إذ خدم الإنسانية والحضارة العالمية خدمة لامثيل لها.. وذلك يذكره جميع المؤرخين، كما يُذكر فضل العرب في هذا المضمار على لسان كل باحث ومؤرخ.

جاء في الموسوعة البريطانية: لمّا سقطت دولة العرب في أسبانيا، انتقلت

(1) انظر: مادة «ورق» في (لسان العرب) لابن منظور، (وتاج العروس) للزبيدي.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج 3، ص54.

صناعة الورق إلى إيطاليا عن طريق جزيرة صقلية، فتأسس أول معمل بإيطاليا في سنة 1276م، ثم تأسس معمل آخر بمدينة "بادروا" سنة 1340م.. ومن المحتمل جدًا أن أول معمل للورق بإنكلترا قد أنشئ في سنة 1589م.

وقد استعمل الأوربيون الكاغَد الشامي - الذي كان يطلق عليه اسم CHARTE DAMESEANA - قبل صناعته في أوروبا. جاء في كتاب (حضارة العرب) لناجي معروف بشأن المخطوطة التي عثر عليها الغزيري في مكتبة الإسكوريال بإسبانيا، والمكتوبة في سنة 1009م، أنها من ورق مصنوع من القطن.. وقد تكون هذه أقدم من جميع المخطوطات الموجودة في مكتبات أوروبا؛ فالعرب أول من أحل الورق محل الرَّقّ، وعلى أيديهم تم استبدال مادة أخرى بالحرير، فقد صنعوا الورق من القطن، ثم من الأسمال (النفايات).

وقد أشار ياقوت الحموي في (معجم البلدان) إلى أن هناك محلة في بغداد تعرف بـ"دار القز"، كان الكاغد يُصنع فيها، ويذكر أن دار القز كانت تقع في الجانب الغربي من بغداد، وقد امتدح القلقشندي في (صبح الأعشى) ورق بغداد الذي كان يسمى: الكاغَد، وقال: لا يُكتب فيه - في الغالب - إلا المصاحف الشريفة.

كيف كانت صناعة الورق؟:

لا تتوافر لدينا نصوص تشير إلى النواحي التقنية لصناعة الورق في العصور السابقة أو المواد المساعدة التي كانت تستعمل في صناعة العجينة الورقية، فلقد عُدَّتْ تلك الصناعة سرّية لاتُفشى قواعدها، وأدى هذا الاعتقاد الأخير إلى وجود حقوق امتياز لمن يبدع في هذه الصنعة، كما هو الحال بشأن منح براءة الاختراع في عصرنا هذا.

ويعتقد المتخصصون: أن الصُنَّاع كانوا يعاملون المواد السيليلوزية - أي القطن والكتان - بمواد قلوية، فتحصل لديهم العجينة، ثم تصب العجينة على صفائح مسطحة ومخرمة (كالمنخل)، فيسيل منها الماء، وتبقى المترسبات فوق الصفيحة، ثم تجفف هذه البقايا بالشمس أو بهواء ساخن، فتتكون اللوحة، ثم تصقل فيما بعد، وتقطع بالحجم المطلوب؛ ولذا، كان يذكر حجم الورق نسبةً إلى كل معمل، أو إلى كل نوع من أنواع الورق.

وثمة ناحية أخرى في صناعة الورق تعرف بـ"القصر Bleaching"، أي قَصْر العجينة الورقية من أجل الحصول على ورق أبيض، إذ كان صُناع الورق يعملون ذلك بالطرق

الكيماوية، ولكن لم يستطع الباحثون المحدثون العثور على أثر لها في كتب التراث، فلقد كان صانعو الورق يستعملون موادَّ أولية جيدة ونظيفة؛ إذ استعملوا معها القطن الأبيض الجيد، أو الخِرَق البيضاء النظيفة، وذلك مما يجعل العجينة أكثر بياضًا مما لو استعملت في صناعتها مواد غير نقية ولا نظيفة، ولاسيّما إذا كانت المواد المذيبة ـ أي المحاليل القلوية ـ نقية أيضًا، وكذلك إذا قُدِّرت كمياتها بدقة، إذ يبدو أن الصناع القدامى قد أجادوا استعمال وضبط المواد القلوية وكمياتها؛ لأنهم أجادوا فعلاً عمل القلويات، وأتقنوا طرق استعمالها، ومثال ذلك: صناعة الصابون، وإتقان صباغة الأنسجة والألياف التي يُجربها الكيميائي في وسط أو محيط قَلَوي (1).

الورق وأثره في الحركة الفكرية:

تميز العصر العباسي الأول بنشاط فكري منقطع النظير، فلم يكد يمضي على بدايته نصف قرن من الزمن، حتى كانت العلوم جميعها قد دُوِّنت على صفحات الكتب، سواء في ذلك العلوم العقلية أم النقلية، وكذلك علوم اللغة والأدب والتاريخ وقد ساعد على هذه الحركة العامة الواسعة، أو كل ما نتج عنها، واستمد حيويته منها، وأثّر بمقدراته فيها : حَدَثٌ فكريٌّ وتاريخيٌّ مهم، وهو: إشاعة صناعة الورق؛ إذ أمَدَّت هذه الصناعة الحضارة العربية الإسلامية بمادة كان لابد منها في تلك الفترة المهمة من حياة الأمة العربية، وبتفاعل هذيْن العامليْن (إشاعة صناعة الورق وما تبعها من سعة وانتشار ورخص في الأسعار، والحركة العلمية وما استبقها من نشاط في حقلي: التأليف والترجمة) إلى جانب شيوع مجالس العلماء، وحلقات الدرس الحر والمناظرات والمقابلات وما نتج عنها من مؤلفات؛ فقد ازدهرت صناعة الورق، وكثرت الكتب، وتزايد عدد الكتبة والوراقين.

إذًا، لم يكن الورق معروفًا لدى العرب ـ كما ذكرنا ـ قبل العصر العباسي، ولم يكن اسمه يُذكر إلا للدلالة على ورق الشجر، وقد قيل: إن المعلقات السبع قبل الإسلام كتبت على قماش مصري اسمه (القاطي) أو (القاط)، وقيل غير ذلك.. وكانت أكثر مكاتبات الأمويين على البردي أوالقماش.. ومن أقدم المخطوطات على الكاغَد (الورق) نسخة من كتاب (غريب الحديث) في مكتبة لَيْدِن، ويُظن أنها كتبت في أوائل القرن الثالث الهجري، وكتاب (ديوان الأدب) في مكتبة المتحف البريطاني، وقد دُوِّن في أوائل القرن الرابع الهجري.

(1) باهرة القيسي: صيانة الوثائق، ص21.

وكانت الكتب ـ بعد صناعة الورق ـ تُكتب وتُعد في أسواق الورّاقين ودكاكينهم، وكان يرتادها المفكرون والكُتّاب والأدباء من أمثال الجاحظ، والذي حدثنا أصحاب سيرته فقالوا: "لم نَرَ أو نسمع مَنْ أحب الكتب أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قَط إلا استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها، ويقرأ الكتب حتى الصباح".

ويذكر اليعقوبي (278هـ) أنه كان في عصره أكثر من ستين وَرّاقًا ببغداد، وقد أصبح من بين هؤلاء الناس ثقات في العلم، فظهر منهم: ابن النديم صاحب (الفهرست)، وياقوت الحموي صاحب (معجم البلدان)، وكان سوق الورّاقين يقع في بغداد أمام الباب الرئيسي لبناية الجامعة المستنصرية، التي شيدها الخليفة العباسي المستنصر بالله (1).

إذًا، فلا أحد يستطيع أن ينكر أو يقلل من شأن صناعة الورق، وأثَر حركة الوراقة على الفكر العربي والكتاب العربي.. هذه الحركة التي استمرت تؤدي دورها فيما بعد؛ فكان لها الأثر العظيم على حركة أخرى أسهمت في تقدم الفكر الإنساني إلى شوط بعيد، وهي: حركة "الطباعة".

* * *

(1) ناجي معروف: تاريخ الحضارة العربية، ص66.

الباب الثاني

نشأة الخط العربي.. وتطوره

- نبذة في تاريخ الخط العربي.
- الخط العربي في صدر الإسلام.
- الخط العربي في العصر الأموي.
- الخط العربي في العصر العباسي.
- أشهر الخطاطين في العصر العباسي.
- الخطاطون المعاصرون.

نشأة الخط العربي.. وتطوره

❖ نبذة في تاريخ الخط العربي:

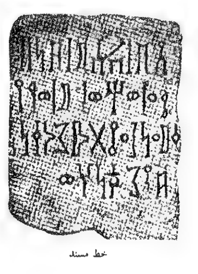
قدمت دراسات كثيرة مستفيضة عن نشأة الخط العربي وتطوره، وكان القليل من هذه الدراسات محاولات جادة وعلمية، في حين يُعَدُّ الكثير منها فقيرًا إلى هذه الجدة وهذه العلمية.. فالآراء غير العلمية تعتمد على أخبار وروايات من كتب التاريخ التي لم تدعمها الحقائق العلمية أو الوثائق المدونة، أمَّا الآراء العلمية، فقد اعتمدت أسلوب التحري والتنقيب والتمحيص والاعتماد على الآثار الشاخصة والوثائق والمدوّنات.

ومما زاد الأمر صعوبة: أن العرب في الجاهلية لم يُدَوِّنُوا من أخبارهم إلا الشيء القليل منها، ولذلك، أصبح لزامًا على الباحث أن يظفر بما يرضيه من وسائل للوصول إلى الحقائق المؤكدة في أصل الخط العربي وتطوره. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن العرب أنفسهم قد اختلفوا في أصل خطهم، كما اختلفوا في المحل الذي نشأ فيه وكيف تطور.

واختلف العرب أيضًا في موطن الخط الأصلي، فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته ما نصه: "ولقد كان الخط العربي بالغًا ما بلغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لـمّا بلغت الحضارة والترفّه، وهو المسمى بالخط الحمْيَري، وانتقل منها إلى الحيرة، ومن الحيرة لُقِّنَهُ أهل الطائف وقريش فيما ذُكرَ" (1).

(1) الحمْيَرية هي خط :أهل اليمن قوم هود، وهم ـ كما تذكر المصادر ـ عادُ الأولى، وكانت كتابتهم تسمى: «المسند الحميري». راجع، أحمد يوسف: الخط الكوفي، القاهرة، 1954م.

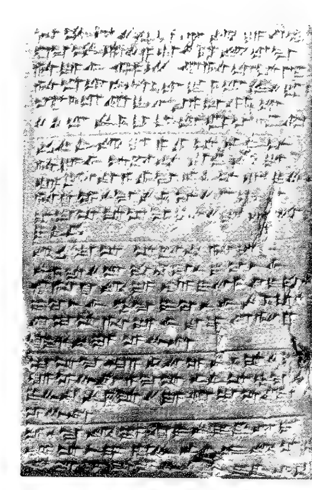
ومن العرب من قال عن أصل الخط العربي: إن موطنه الأصلي هو اليمن، ومنهم من قال: الحيرة، ومنهم من قال: الأنبار، ومنهم من نَسَبَه إلى أشخاص معينين، لكن مواقع ظهور الكتابة والخط معروفة لدى الباحثين الذين وضعوا لها خرائط توضيحية (لوحة رقم1).



خط مسند

ألف باء خط المسند

اللوحة رقم (2)



اللوحة رقم (1)

واختلف العرب في أصل اشتقاق الخط أيضًا، فقال بعضهم: إنه مشتق من الخط الحميري (المسند)، وقد سمي بالجزم، لأنه اقتطع من المسند الحميري. وحروف الخط المسند بعيدة الشكل عن حروف الخط العربي المعروفة، وهي ذات أشكال مختلفة (لوحةرقم2) كما يرى العلاّمة محمود شكري الألوسي (1)، وهناك

(1) محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ص25.

آراء كثيرة أخرى اعتمدها المستشرقون، منها: أن الخط العربي قد اشتق من الخط السرياني.

واختلف الباحثون أيضًا في محل نشوء الخط العربي، فمنهم من قال: إن نشوءه كان في طور سيناء، ومنهم من قال: إنه في الشام عند الغساسنة، أو في الحيرة عند المناذرة، ومنهم من يرى: أن الخط العربي قريب من الكتابة النبطية المتأخرة (1).

وهكذا، توصل العلماء في ضوء اكتشافهم للنقوش الحجرية القديمة إلى أن الخط العربي القديم اشتق من الخط النبطي المتأخر الذي اشتق من الخط الآرامي (2).

أما الخطوط المبكرة الأولى لصدر الإسلام، فقد وصلت إلينا منها نماذج محدودة، منها ماهو على الحجر، ومنها ماهو على البردي، ومنها ماهو على الرَّق. ومن النماذج التي عُثر عليها محفورةً على الحجر: شواهد بعض القبور، ومنها شاهد عثر عليه في أسوان بمصر يعود تاريخه إلى عام 31هـ (لوحة رقم3)، وحجر



«بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر»
«لعبد الرحمن بن خير (جبير - جبار) الحجري (الحجري) اللهم اغفر له»
«وادخله في رحمة منك واتنا معه»
«استغفر له اذا قرات هذا الكتاب»
«وقل امين وكتب هذا»
«الكتاب في جمد (جمادى) الاخر»
«من سنت (سنة) احدى و»
«ثلثين»

شاهد قبر عثر عليه في أسوان بمصر. وهو الآن محفوظ في «دار الفن الإسلامي» بالقاهرة. مؤرخ سنة ٣١هـ

اللوحة رقم (3)

(1) محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، ص20 .

(2) المرجع السابق.

عثر عليه في منطقة كربلاء بالعراق يعود تاريخه إلى عام 64 هـ (لوحة رقم 4)، أما الكتابات العربية القديمة التي كُتبت على البردي فيعود تاريخها إلى عام 117هـ، (لوحة رقم 5) (1).

بسم الله الرحمن الرحيم الله وكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا وليلا طويلا اللهم رب جبريل و
ميكال واسرافيل (ميكل واسرفيل) اغفر لثابت بن
يزيد الاسعدي ما تقدم من ذنبه وما تاخر ولمن قال
آمين آمين يا رب العالمين.
وكتب هذا الكتاب في شوال من سنة اربع وستين

حجر محفور بالخط الكوفي، في منطقة كربلاء. مؤرخ بتاريخ ٦٤ هـ. عثر عليه في «جفنة الأبيض». ومضمونه

اللوحة رقم (4)

للناس للذي ببكة مباركا وهدى
للناس. ابراهيم ومن دخله كان امنا
ولله على الناس سبيلا ومن كفر فان الله
غني عن العالمين.
وكتب مالك بن كثير في رجب سنة
سبع عشرة ومائة «منقول عن تاريخ الخط العربي»

نموذج آخر من كتابات البردي، موجودة في دار الكتب العربية بمصر. مؤرخة بتاريخ ١١٧ هـ. ومتنها

اللوحة رقم (5)

(1) قام بنسخ هذه اللوحات عن الأصل المستشرق «ريلاند» في كتابه: "Catalogue of the Arab papyri" وكذلك المستشرق «ولفنسون» في كتابه: «تاريخ اللغات السامية».

ولنبدأ بالعصر الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية على يد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

❖ الخط العربي في صدر الإسلام:

مع بداية ظهور الدعوة الإسلامية، ظهرت أهمية العمل على طلب العلم وتعلُّم الكتابة، ولم يكن ذلك مقتصرًا على الرجال فحسب، فقد اهتم الإسلام بتعليم النساء الكتابة أيضًا، وجعل الإسلام فدية من يكتب من أسرى قريش في مَوْقعَةِ بَدْرٍ لمن لا يستطيع أن يفدي نفسه بالمال تعليم الكتابة لعشرة من مسلمي المدينة(1)، وهذا يدل على أن الخط كان معروفًا في مكة.

وتشير الرسائل التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها إلى الإسلام: أن الرسول قد اختار لكتابتها أجود الكُتَّاب خَطًّا، وذُكر أن النبي الكريم كان له من الكتبة عدد من الصحابة الكرام، مثل: عمر ابن الخطاب، وعلى بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وخالد بن سعد، وأبان بن سعيد، وأبو سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حَسَنَة، وزيد بن ثابت، والعلاء الحضرمي. وغيرهم(2).

وتوسع انتشار الخط بعد تأسيس الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد طور أهل الكوفة أسلوب كتابة الحَرْفِ وشكله، حتى أصبح هذا الخط متميزًا بأهل الكوفة عن غيره من الخطوط، كخط أهل الحجاز.

وكان من المُجوِّدين للخط الإمامُ علي، أما عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد دعا إلى تدوين القرآن وحفظه وضبطه، وأجمع كثير من العلماء على أن عثمان رضي الله عنه كتب المصحف على أربع نسخ بعث بها إلى الكوفة والبصرة والشام، أما النسخة الرابعة فأبقاها لنفسه(3).

وكان لكتابة المصحف الشريف أثر كبير في تطور الخط العربي وتجويده، وانتشاره خارج الجزيرة العربية، وقد ترافق هذا الانتشار للخط مع انتشار الدين الإسلامي عن طريق الفتوحات؛ إذْ حمل الإسلامُ الخطَّ واللغة إلى البلاد

(1) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج3، ص14 .

(2) الدينوري: أدب الكاتب، ص34.

(3) ابن سعيد الداني: المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار، نقلاً عن «سهيلة الجبوري» في (تاريخ الخط العربي)، ص 73.

المفتوحة، وظلت مراكز تجويد الخط العربي ترفد هذا الفن الجديد في مكة والمدينة والبصرة والكوفة.. واشتهر الخط الكوفي من بين سائر الخطوط الأخرى ببلوغه شأنًا رفيعًا من الإتقان والجودة، والجمال والانتظام.

❖ الخط العربي في العصر الأموي:

كانت الكوفة مركزًا من مراكز التجديد والابتكار في الكتابة العربية عندما كانت مقرًا لخلافة أيام الإمام على بن أبي طالب. وبانتقال مركز الخلافة إلى الشام، تحول الاهتمام بالخط إلى هناك، حيث بدأ الخط في الانتشار.. وساعد على هذا الانتشار تجويد الخط وتطوير أدواته، واشتغال كثير من الناس بالكتابة وتدوين الأثر ونسخ المصاحف، فأخذ الخط يسمو ويرقى ويتحسن، وعُدَّ رجل من ذلك الزمن اسمه "قطبة" رائدًا من رواد الخط، وقيل: إنَّ عَلَى يديه تحول الخط الكوفي إلى شكل أكثر مرونة مما كان عليه، وينسب إليه ابتكار خط "الطومار"، وكذلك "القلم الجليل" (والذي يُعرف الآن بالخط الجَليّ)، أي الكبير الواضح.

وبهذا التطور، تفتحت أمام الكَتَبَة والخطاطين سُبُل الاستنباط والتجويد، فأخذ كل كاتب يستخدم مواهبه الفنية في إيجاد إضافات جديدة، لكنها إضافات لم تخرج عن القواعد الأصلية أو الجذور، وبذلك أخذت نهايات العصر الأموي تشهد نماذج جديدة وجميلة من الخط.

وساعد النتاج الثقافي للعصر على ذيوع الخط؛ لكثرة التأليف؛ والحرص على إخراج الكتاب بشكل لائق جميل، حتى إن بعض المصاحف وكتب الحديث والسيرة كانت تُزَخْرَفُ وتُزَوَّقُ وتُطلَى بماء الذهب.

وقد اشتهر "الحسَن البصري" (الذي وُلد بالمدينة سنة 21هـ، وتوفي بالبصرة سنة 110هـ) بكتابة المصحف الشريف، وعُرف بتجويد الخط من قبل أن يكون للخط شأن يُذكر.

وقيل: إن "ابن مُقْلَة" ليس هو الناقل الأول، وإنما الناقل الأول هو: الحسن البصري، الذي أخذ الخط بدوره عن عليّ كرم الله وجهه (1).

وهكذا، أخذ الخط يشق طريقه في الارتقاء والتطور، وكثر الاهتمام به إلى حد كبير؛ ليصل إلى درجة النضج في العصر العباسي.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص4.

❖ الخط العربي في العصر العباسي:

وصل الخط العربي في العصر العباسي مرحلةً متقدمةً من النضج؛ فبعد تأسيس بغداد على يد أبي جعفر المنصور عاصمةً للدولة العباسية ومركزًا للحضارة العربية، ازداد الاهتمام بالعلم والترجمة، وتوسعت دائرة الثقافة العربية، وصاحَبَ ذلك كله تطورٌ كبير في حقل الكتابة والخط؛ فظهرت كوكبة من الخطاطين لاتزال آثارهم باقية، وكان الخط في هذا العصر قد استوعب من صور الإبداع ما استوعب، فأُتْرِعَ الخط بالزخرفة، وأُثْرِيَ بالتلوين والتزويق والتذهيب.

وفي أوائل الدولة العباسية اشتهر خطاطان عُرفا بجودة خطيهما، وهما: الضحاك بن عجلان (في خلافة أبي العباس السَّفَّاح)، وإسحاق بن حماد (في خلافة المنصور والمهدي)، وكان هذان الكاتبان يخطان "الجليل"، وعلى أيديهما تنوعت الخطوط وتفرعت، فكان هناك «قلم الجليل»، و«قلم السجلات»، و«قلم الديباج»، و«قلم الثلثين»، و«قلم الطومار الكبير»، و«قلم العهود».. وهكذا.

وفي عصر المأمون برز كَتَبَةٌ آخرون استطاعوا أن يُقَدِّمُوا نماذج متقدمة للخط، وهم امتداد لمن سبقهم، وأوجدوا خطوطًا مثل: "قلم المُرَصَّع" و"قلم النَّسَّاخ" و"قلم الرياسي" و"قلم الرقاع" و"قلم غبار الحلية".. ومن أولئك الخطاطين: "إبراهيم الشجري"، الذي طوّر القلم الجليل إلى قلم الثلثين، ومن قلم الثلثين إلى قلم الثلث.

ثم تناهت براعة الخط على يد الوزير ابن مُقْلَة، ثم ابن البواب، فياقوت المستعصمي.. وكان هؤلاء الثلاثة أبرعَ من جَوَّدَ الخط، وقد جعلوا العصر العباسي بالفعل عصر ازدهار للإبداع العربي في مجال الكتابة والخط.

❖ أشهر الخطاطين في العصر العباسي:

1- **ابن مُقْلَة:**

هو أبو عليّ محمد بن مقلة.. ولد سنة 272 هـ، وتوفي سنة 328 هـ - بغدادي النشأة، ومقلة لقب أبيه عليّ(1) ويُعَدُّ من رُوَّادِ الخط وأحد مبدعيه في ذلك العصر.

(1) ذكره ابن النديم في (الفهرست)، وياقوت الحموي في (معجم الأدباء)، وابن خلكان في (وفيات الأعيان).

وقد ابتكر ابن مُقلة قواعد جديدة للخط، وابتكر عليه وأضاف، وهو الذي أطلق على قلم النسخ اسم (البديع)، وأضاف خَطًا عُرف بـ(الدرج)، وذُكر أنه كتب المصحف مرتين. ويمكن القول: إن ابن مقلة هو أول من بلغ بالثلث والنسخ هذا المبلغ من الكمال الذي لايزال أثره هو واللاحقون له قائمًا في خطوطنا المعاصرة، إذْ ظهرت حروفه متناسقة جميلة منسجمة، ظهر عليها التشكيل والإشباع والإرسال.. كما وضع قواعد خطية متميزة، منها: الترصيف، والتأليف، والتسطير، وغير ذلك.. وكان رجال الدولة يبتاعون خطه بأثمان عالية.

وكان ابن مقلة شاعرًا وسياسيًا، واستُوزرَ ثلاث مرات، ولكنه مات مقتولاً كما تشير بعض المصادر، إذ عُذِّبَ في نهاية عمره، وقطعت يده اليمنى، لكنه ترك أثرًا أضاف إلى الفن العربي أجمل الآثار.

2–ابن البواب:

كان من أشهر الخطاطين، وسار على منهج ابن مُقلة، وطَوَّر في أسلوبه. بدأ ابن البواب عمله مُزوِّقًا للكتب، وامتهن الخط، وكأن ذا ميْلٍ للعلوم الدينية، فعُيِّن خطاطًا في جامع المنصور ببغداد.

كان ابن البواب حافظًا للقرآن، وذُكر أنه استنسخ القرآن أربعًا وستين مرة، لم تصل إلينا منها إلا نسخة واحدة، هي المحفوظة بمكتبة "شستر بيتي" بإنجلترا(1).

وابن البواب فنان فطري، صاحب ذوق في الكتابة، فارتسم هذا الذوق على طريقته، وخرج فنه جميلاً جذابًا منسابًا، وطوَّرَ من خط "المنسوب" لابن مقلة، كما طوَّر في خط "التوقيعات" و"النسخ"، وأمَدَّهُمَا بروح فنية جديدة.

ولم يكن ابن البواب على جانب من الثراء، فعاش على عمل يديه وما تبدعه حركة أصابعه من خطوط، ومن نَسْخٍ للكتب، وكان يقلد ابن مقلة، ويزيد على تقليده ابتكارًا وحُسنًا وإجادة.

وقد رَكَّزَ ابن البواب على ترشيق الحروف وتليينها، واستعمل الخط النَّسْخي وخطوطًا أخرى في كتابة القرآن الكريم، كما استعمل خط الثلث لكتابة عناوين السُّوَر، وعني بالزخرفة المواجهة للكتابة، ولاسيما عند نَسْخ فاتحة الكتاب، وعمل الفواصل الجميلة الصغيرة، واهتم كذلك بالتزيين بالذهب (2).

(1) Rice, D.S: The Unique Ibn Bawwab Manuscript in the Chester Beatty Library pp.22-44.

(2) ابن الوحيد: رأي في ابن البواب، ص12.

وقد تأثر كثير من الخطاطين بأسلوب ابن البواب وقلَّدوه، وخاصة في طريقته المثلى لكتابة المصحف الشريف.

وفي سنة 413 هـ توفي ابن البواب ببغداد، ودفن قرب ضريح الإمام أحمد بن حنبل، وقد رثاه الشريف المرتضَى في إحدى قصائده.

3- ياقوت المستعصمي:

عاش ياقوت في نهاية عصر الخلفاء العباسيين، وهو خاتمة سلسلة من عظماء الخطاطين في عصور الحضارة العربية، وقد فاق مَن سبقوه - كابن مقلة وابن البواب - وطَوَّرَ من خطوطهم وأساليبهم.

تميز أسلوب ياقوت برشاقة الحرف ودقته في قلم مائل المقطع، واستنسخ عددًا من المصاحف الشريفة.. وقد تأثر به بعض الخطاطين المعاصرين وقلدوه، الأمر الذي يجعله مصدر الإلهام الأول لفنون الخط العربي في العصر الحديث.

وياقوت مؤلف لعدد من الكتب، ذكر منها المؤرخون كتاب: (أسرار الحكماء) الذي طُبع بالآستانة سَنة 1300هـ، وكتابَ أشعارٍ وحكَمٍ ووصايا طبع بالآستانة سنة 1302هـ، إلى جانب رسالة في علم الخط، كما كانَ أديبًا، كاتبًا، شاعرًا.

وقد بلغ ياقوت بالخط العربي غاية الجمال والإتقان والبراعة في مداخلات الحروف وتشكيلاتها، وترك لنا جملة من نماذج خطه تُعد مدرسة جديدة متكاملة لصياغة وتجويد الخط العربي.

وفي سنة 698 هـ توفي ياقوت المستعصمي ببغداد، وترجم له كثير من المؤرخين والكُتّاب (1).

❖ الخطاطون المعاصرون:

ظهرت كوكبة من الخطاطين النوابغ في البلاد الإسلامية والوطن العربي، عُدُّوا امتدادًا للخطاطين القدماء الذين أسهموا في تطوير الخط العربي وإجادته، والذين كان لهم الفضل فيما وصل إلينا من أعمالٍ، لاتزال تُعد المعين الذي رفد الحضارة العربية بهذا الفن الأصيل.

أما المعاصرون فهم حَفَظَةُ هذا التراث، والمتواصلون به إلى الجيل الحاضر

(1) راجع: (الأعلام) للزركلي، و(تاريخ علماء المستنصرية) لناجي معروف، و(شذرات الذهب) لابن العميد.

والأجيال القادمة، ونذكر من هؤلاء الخطاطين في مصر: "سيد إبراهيم"، أحد نوابغ الخط، وصاحب كتاب: (فن الخط العربي).. وقد أجاد سيد إبراهيم في الخطوط كلها، وخاصةً الثلث والديواني، وقد ترك لنا نماذج جميلة متقنة من تلك الخطوط.

وفي مصر، نجد أيضًا الشيخ "علي البدوي".. وهو خطاط ماهر، وكان أستاذًا للخط في الجامع الأزهر، وله آثار عديدة. وكذلك "السيد حسني الخطاط" الذي امتازت خطوطه بالإجادة والجمال.

وفي العراق، نجد الخطاط "محمد صبري"، وقد كان رياضيًا وعسكريًا بارعًا، وكان يجيد النستعليق.. ثم ظهر أستاذ الخط وكبير خطاطي عصره "هاشم البغدادي"، الذي وُصف بأنه فاق مَن سبقه ومَن عاصره، وتأثر به جيل الخطاطين في العراق.. وقد تخرج هاشم الخطاط في مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة، والتقى هو والخطاط الكبير "حامد الآمدي" في إستانبول، وترك آثارًا تُعد من روائع الخط على مَرِّ الأزمان.

و"حامد الآمدي" - الذي ولد بديار بكر - هو أيضًا مدرسة أخرى في فن الخط.. تميزت خطوطه بالقوة والإتقان، وقد اشتغل الآمدي في كتابة الآيات القرآنية وتذهيبها، وانتشرت خطوطه في الآفاق.. ومثله نَهَجَ "ماجد الزهري" طريق الإبداع المتأثر بمن سبقه من الخطاطين العرب والأتراك، وتميز بقدرته على إتقان خط الثلث.

ومن الحجاز، يصل إلينا إبداع "محمد طاهر الكردي المَكِّيّ"، الكاتب والخطاط، الذي يُعَدُّ كتابه: "تاريخ الخط العربي وآدابه" من أهم مصادر دراسة الخط العربي، وقد قضى زمنًا بمصر، وامتازت خطوطه بالتجديد وباستعمال الأشكال الهندسية.

إن هؤلاء الخطاطين الأفذاذ وغيرهم من الخطاطين الذين برزوا منذ بداية القرن العشرين قد تركوا بصماتهم على فن الخط العربي، وقد أَثَّرَتْ ثمرات جهودهم وإبداعهم على خطاطين معاصرين جدد في مصر والعراق(1) ، وسنأتي على ذكرهم في مناسبة أخرى.

* * *

(1) انظر: مقدمة كتاب «بدائع الخط العربي» لناجي معروف.

الباب الثالث

أنواع الخط العربي:

- الكوفي.
- المحقق، والريحاني.
- النسخ.
- الثلث.
- الديواني، والديواني الجلي.
- التعليق، والنستعليق، والشكستة.
- الرقعة.
- أنواع أخرى من الخطوط.

أنـــواع الخـط الـــعـــربي

يقول السيد حبيب فضائلي (1) عن أنواع الخط وأصوله:

"لانعلم بالتحديد أصول كثير من الخطوط، كما أن أي نوع من الخطوط لم يوجد دفعة واحدة ولابشكل مفاجئ حتى نتمكن من تحديد تاريخ ظهوره بشكل دقيق؛ فقد استدعى كل نوع من الخطوط سيرًا بطيئًا وتدريجيًا، ولاشك أن كل خط خضع لتجارب ومحاولات قرونَ وسنينَ عدة إلى أن تجلَّى الخط وتكامل.. غير أننا نستطيع تتبع بواكير الخطوط بدراسة كتابات الباحثين وتحقيقاتهم، وبتفحص جزئيات الصور والأشكال الحرفية.

والخطوط الإسلامية جميعًا ترجع أصولها إلى نوعين من الخطوط، مع مراعاة التفريع والتشعب، ومع أن الخطوط الإسلامية ترجع إلى نوع من الخط أو نوعين: الكوفي والنسخ ، فلا ينبغي أن ننسى تحري الدقة في دراستنا".

إذًا، فللخط العربي جذور بعيدة تمتد في القدَم إلى خطوط أخرى أقدم منها.. ولم تَزَلّ تلك الخطوط تتطور حتى ظهرت أقلام أو خطوط لاتكاد تَمُتّ لشكل الخطوط الأولى بصلة إلا بالأحرف، لكنها ـ مع ذلك ـ لاتنفصل عنها.. فلم تُعْنَ أُمَّة بفنونها ـ ومنها الخط ـ كما عنت الحضارة العربية (2).

والخط صورة من صور الحفاظ على الكتابة، وهو أداة من أدوات التدوين الذي عُرف به العرب والمسلمون منذ أن نهضوا لجمع القرآن وتدوينه، فكانوا بذلك أول أُمَّة تتصدى لحفظ تراثها.. ولو لم يكن التدوين قائمًا ومستمرًا لضاع هذا التراث، أو أكثره، وما وصل إلينا عن طريق الذاكرة إلا النزر اليسير منه.

وهذه الدراسة دراسة بسيطة للخط العربي وأصوله وأنواعه وتطوره، ولم نقصد بها أن تكون دراسة أكاديمية وحسب، بل هدفنا أن تكون في متناول محبي الخط

(1) د. محمد التونجي: أطلس الخط العربي، ص10.

(2) انظر في آراء المستشرقيْن Spuler في كتابه: The Muslim World, p.18 ـ غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب)، ص80 .

العربي وعشاقه ومحبي الفن الإسلامي، الذي يشكل الخط أحد أعمدته الشامخة.

وهذه الدراسة غير مثقلة بالمعلومات الكثيرة المتشعبة، والآراء المختلفة المتضاربة، بل هي عرض متواضع، لكنه مفيد للطالب والأستاذ والقارئ العادي، وهي حلقة ربما تضاف إلى ما كُتب حول الموضوع من قِبَل أساتذة متخصصين، وعلماء مدققين. ولانزعم أننا أتينا بالجديد أو النادر، وإنما أتينا بما يعيد إلى أذهان جيلنا الجديد ما كادوا ينسونه من تراث أمتهم العربية المجيدة من أعمال جليلة من حقهم أن يفخروا بها.

وبعد.. فالخط فنٌّ جميل، وعمل رائع يتحسسه المتذوقون، وركن يأوي إليه أصحاب الذوق الرفيع والإحساس المرهف بكل ماهو جميل في هذه الحياة، فقد كان الجمال سمة حضارتنا، وكان الخط إحدى صور هذا الجمال.. وهو التعبير الصادق عن الأداء الصادق.

وقد وجد العرب في الخط وسيلةً للتعبير عن إبداعهم، حيث انصرفوا عن الرسم والتصوير، وكان لكتابة المصحف الشريف أثر في تشجيعهم على تطوير وتطويع الحرف والعناية به، والاهتمام بضبطه وتنقيطه وتشكيله، وكان دافعهم إلى ذلك حُب الكتاب الكريم؛ ولذلك، ظهرت خطوط أخرى متنوعة، أولها: الخط الكوفي الذي أشرنا إليه باقتضاب.

❖ الخط الكوفي:

هو أصل الخط العربي وأقدمه، وقد غلب عليه الطابع الهندسي للحرف.. ويرى بعض الباحثين أنه خط جاف، قليل المرونة، ولكنه جميل الحركة، يميل إلى التناسق والاستقامة.. وبلغ هذا الخط في الكوفة مبلغًا طيبًا من الجودة والإتقان والابتكار، خاصةً في زمن الإمام عليّ كرم الله وجهه، إذْ ظهرت منه أنواع، كالكوفي التذكاري، والكوفي الليِّن، وكوفي المصاحف. وقد توجهت العناية في إجادته ببغداد في العصر العباسي، حيث اتسق نحو الإجادة في الرسم وأدخلت عليه ابتكارات وتحسينات متناغمة مع الزخرفة المتداخلة معه والمحيطة به: الهندسية منها والنباتية، حتى أصبح الخط الكوفي عنصرًا زخرفيًا يدل على مهارة الإبداع والابتكار.

كان الخط الكوفي بسيطًا في مبدأ أمْره، لا توريق فيه ولاتعقيد، ولاترابط بين حروفه، ومع ذلك كله، فإن المتقَن من هذا النوع البسيط لا يخلو من فن زخرفي رصين وهادئ (1). (اللوحة رقم 6).

(1) أحمد يوسف: الخط الكوفي، ص35.

حروف تزيينية كوفية: (نموذج لتطور حروف الخط الكوفي المورق) (نموذج لتطور حروف الخط الكوفي من المورق إلى المزهر)

اللوحة رقم (6)

وقد ظل الخط الكوفي بأصالته صورةً للفن الإسلامي، وأحد أوجه الإبداع فيه، ومظهرًا من مظاهر الجمال في التعبير عن الكلمة.. وقد فتح هذا الخطّ البابَ واسعًا لنماذج أخرى مشتقة منه، فأصبح له فروع يمكن أن تعَدّ خطوطًا جديدة.

وفي الفترات الحديثة انسحب الخط الكوفي عن مكانته تدريجيًا، وبقيت له مساحاته الجمالية في الكُتب، وعلى حوائط القصور والعمائر.

ومن أنواع الخط الكوفي المتطور نجد الكوفي المورق والمشجر، الذي تخرج من أطراف حروفه سيقان نباتية دقيقة مُحَمَّلة بالوريقات مختلفة الأشكال، أو بزخارف أخرى ذات فصوص، وقد شاع هذا النوع من الزخارف الكوفية في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وأقدم ما نعرفه من نماذجه المتقنة يرجع إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

ومن ضروب الزخارف الكتابية "الكوفي المضفّر"، ذو الحروف المترابطة، والذي يربط الفنان فيه بين حروف الكلمة الواحدة أو الكلمتين، ليصل إلى تأليف إطار أو شكل هندسي جميل متكامل (1).

(1) د. زكي محمد حسن: أطلس الفنون الإسلامية، ص54.

وقد أقبل الفنانون في المغرب والأندلس على استعمال هذا النوع من الزخارف الكوفية، ومن أمثلة ذلك: الزخارف الكتابية في عدد من العمائر الإسلامية، والمنتجات الإبداعية الصناعية، كالخشب، والحجر، والزجاج، وغيرها.

❖ المحقق، والريحاني:

المحقق لغة: مِنْ "حَقَّقَ" "يحقق" "تحقيقًا" (1) وَشَيءٌ محقق: مُحْكَم ومنظم، وثوب محقق: محكم النسيج، وأطلق هذا الاسم على نوع من الخطوط، وهو الخط المحقق الذي سنتحدث عنه.. وبالفعل، فإن هذا الخط قد عُرف إلى جانب جماله بضبط حروفه، وانضباط شكله، حيث يخلو من الالتفافات والتداخلات.

أما الريحان ـ أو الريحاني ـ فنسبة إلى أعواد الريحان، ذلك الزهر اللطيف العَطِر؛ ولهذا، دُعِيَ هذا الخط بالريحان، ففيه لون الريحان وشكله، ولطافته التي هي أشبه بالزهر، وقد ذَكَرَ هذا الخط بعض الشعراء ووصفوا جماله.

ويرى الكُتّابُ أن الريحاني هو الديواني نفسه، ويشبه المحققُ والريحانيُّ الثلثَ القديم، وربما اختلط الخطَّان وامتازا بالإجادة.

ويُعَدُّ المحقق أحسن الخطوط وأصعبها، وأكثرها تعقيدًا للكاتب، وقلائل من الخطاطين من يجيده، ولقد كان المحقق والريحان شبيهين بالثلث في بادئ الأمر، لكن الدقة بين هذه الحروف واضحة، والحركات والضوابط في المحقق ألطف مما عليه في الثلث وأكثر رقة ودقة. (اللوحتان رقما8,7).

لانعرف بالضبط نشأة الخط المحقق، لكنه ظهر في العصر العباسي: عصر نضوج الخط وتجويده، لكن ابن النديم (2) أشار إلى أن هناك خطًّا سُمِّيَ بالخط العراقي أو الوراقي، وهو المحقق.. "ولم يزل يزيد ويحسن حتى انتهى الأمر إلى المأمون، فأخذ أصحابه وكُتّابه بتجويد خطوطهم، فتفاخر الناس في ذلك...".

وكان لظهور هذا الخط تأثير واضح في تحسين الخطوط العربية الأخرى وتهذيبها، ويبدو أنه لايُعَدُّ من جملة الأقلام المعروفة الأخرى، بل هو خَطٌّ قلم مستقلٌّ منفردٍ بذاته.

(1) راجع معاجم اللغة: (تاج العروس) للزبيدي، و(لسان العرب) لابن منظور لفظ «حقق».

(2) الفهرست: 19,18.

تحقيق

إمامٌ عادلٌ خيرٌ من مطرٍ وابلٍ

المؤمن يأنف اللهو ويألف الجد

الحرية منزهة من الغل والمكر

ريحاني

اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات كتبه حبيب الله فضائلي

في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٨ من الهجرة النبوية

اللوحة رقم (7)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

في سنن أبي داود ج ٤ : قال رسول الله (ص) لو لم يبق من الدنيا إلا يوم

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله

يطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي يملأ الأرض

ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا يواطي

قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. صدق الذي لا ينطق عن الهوى

اسمه اسمي يملأها عدلا وقسطا كما

صدق رسول الله الأمين ملئت ظلما وجورا رواه الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد

كتبه برسم المحقق والريحان حبيب الله فضائلي ١٣٨٨ هـ

اللوحة رقم (8)

ذكرَ خطَّ "المحقق" عَدَدٌ من الكتَّاب، أشهرهم: القلقشندي في (صبح الأعشى) الذي قال: "والمحقق استحدثت كتابته في طغراوات.." وقال: "إن الخط قسمان: المحقق، والمطلق" وأضاف: إن "المحقق هو الذي تؤدَّى أشكاله وحروفه صحيحة باعتبارها مفردة، ولايرى فيه أي نقص، ويستخدم في الأعمال المهمة من قبيل العهود والإسنادات المعتبرة، وفي التمليصات جيلاً بعد جيل، والرسائل المتداولة بين الملوك على حسب مقام الأشخاص...".

ويرى كُتَّاب آخرون: أن ابن مُقلة هو واضع أصول "المحقق"، وهو من الأقلام المضبوطة، في حين نسبه آخرون إلى ابن البواب (1)، وذكر أن الخط الريحاني استخرج من المحقق على يد ابن البواب، كما كان هذا الخط (المحقق) من الأقلام المختارة عند ياقوت المستعصمي، وكتب به أساتذة الخط نُسَخَ القرآن والكتب النفيسة، بعد أن أعملوا فيه مهارتهم وبراعتهم.

ويتضح من كلام (الفهرست) و(صبح الأعشى) أن الخط المحقق حَظِيَ بشهرة كبيرة في زمن المأمون الذي شجع الخطاطين. وقد حافظ المحقق على اسمه وشهرته جنبًا إلى جنب مع الخطوط العريقة الأخرى، كالكوفي، والنسخي، والثلث.

وقد اكتُشفَ خط "الريحان" بعد "المحقق" بسنين عديدة، فكان من متفرعاته.. وتطور هذان الخطان: (المحقق والريحان) في زمن ابن البواب، الذي بلغ بهما مرحلة الكمال، حتى جاء عصر ياقوت المستعصمي وتلاميذه، فبلغا في ذلك العصر غاية شهرتهما، وظل المحقق والريحان يُستخدمان في الممالك الإسلامية حتى القرن العاشر والحادي عشر في كتابة المصاحف، وأحيانًا في الدواوين، ولكنْ مقامهما أخذ في التراجع قليلاً بسبب البُطء والعُسْرِ في كتابتهما، واحتياجهما إلى وقت وجهد لإتقانهما. ومع ذلك، فقد ظل هذان الخطان الجميلان يرمزان إلى عصر التنوير والإجادة والإبداع للحضارة العريقة (2).

❖ النَّسْخ:

إن المعلومات عن أصل الخط النسخي قليلة ومختلفة؛ فقد قيل: إنه قد عُرِفَ بعد ابن مقلة، ولَعَلَّه عُرِفَ قبله، وكانوا يدعونه: "النسخ"، أو "النسخي".

---

(1) حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط، ترجمة د. محمد التونجي، القاهرة، 1993م.

(2) أحمد عائش دشاش: الخط العربي في الفن الإسلامي، ص13

ولفظة "النسخ" قديمة، وقد وردت في القرآن الكريم، وعرفها العرب، وارتبطت بالكتابة، وفي إطار الخطوط عُرف في زمن المأمون خط اسمه: "خط النساخ".

ويميل الكُتَّاب إلى: أن ابن مقلة هو واضع أسس هذا الخط (سنة 310هـ)، ويرون أنه اقتبسه من خط الثلث، وأن النسخ تابع للثلث، وقالوا: إن قلم النسخ مأخوذ من الجليل أو الطومار، وقد وَصَلَ إلينا خط النسخ بيد ابن البواب نفسه، والذي هو قريب من المحقق والريحان، ويلاحظ من النماذج الخطية للعصر العباسي أن الشبه موجود في أشكال النسخ والمحقق والريحان والثلث.

هذا، وقد بدأ خط النسخ مرحلة الإجادة والتطوير في القرنين: الثالث والرابع، وارتقى متزامنًا مع الخطوط الأخرى الشقيقة له: (الثلث والريحان والمحقق)، ولما كان هذا الخط أسهل على الكتبة من غيره، فقد رغبوا فيه، وأقبلوا عليه، حتى شَاعَ في الأمصار، وأمر الخلفاء أن يُنْسَخَ القرآن الكريم به، على أن يدوِّنوا رُءُوسَ السور بالمحقق والريحان والكوفي (1).

ويرى فريق من العلماء: أن الخط النسخي قد اشتق من الخط الكوفي، وكان ذلك على يد ابن مقلة (328هـ)، ثم على يد ابن البواب (413هـ).

ويرى فريق آخر: أن الخط النسخي لم يشتق من الخط الكوفي، وإنما هو جزء من الخط العربي الذي كان يكتب به منذ أول اشتقاقه من الخط النبطي.

ويتضح من الخط النسخي كثرة الاستدارات والامتدادات، كما نلاحظ فيه الغِنَى والتناسب في الأجزاء..

ولعل أكثر ما كُتب به الخط النسخي هو المصحف الشريف - بعد الكوفي - واعتبر النسخي عنصرًا مُهمًا زخرفيًا على التحف المعدنية، وعلى الخشب، والجص، وغيرها من المنتجات الفنية الإسلامية.

أمَّا أشهر مُجَوِّدي هذا الخط فهم: قطبة (أواخر الدولة الأموية)، والضحاك ابن عجلان، وإسحاق بن حماد (وهما من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية)، ثم إبراهيم الشجري، الذي أخذ الخط عن إسحاق بن حماد، وأحدث طُرقًا جديدة فيه، ثم اشتهر محمد بن معدان، ثم عُرِف بمصر كاتب مجيد اشتهر

(1) سهيلة الجبوري: تاريخ الخط العربي، ص 30.

باسم: "طبطب"، وكان أهل بغداد يحسدون مصر عليه (1).

ثم اشتهر ثلاثة من أعظم خطاطي العصر العباسي، وهم: الوزير ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمي (2).

❖ الثلث:

اختلف الباحثون في أصل تسمية الخط الثلث، وفي معناه، وهو خط جميل كثيرًا ماكتبت به المصاحف القديمة، وهو من الخطوط المستقيمة، قطع منها الثلث فسمي بالثلث، وذكر أنه منسوب إلى خط "الطومار".

ويُعَدُّ خط الثلث من الخطوط الصعبة، إذْ لا يُعَدُّ الخطاط خطاطًا إلا إذا أتقنه، ويعبَّر عنه بـ (أبي الخطوط).

استعمل الثلث لكتابة أسماء الكتب المؤلفة، وأوائل سور القرآن الكريم، وبدايات أجزاء الكتب، وكتابة الألواح والآيات القرآنية.

وقطة قلم الثلث محرفة؛ لأنه يحتاج فيه إلى تشعيرات لا تتأتَّى إلا بحرف القلم، وهو إلى التقوير أميل منه إلى البسط.

وقد برع خطاطون عديدون في هذا النوع الراقي من الخطوط العربية، وخاصة في العصر العباسي، وتفننوا في الكتابة فيه، وجوَّدُوا وأضافوا عليه بعض التشكيلات والتحليات الجميلة.

ويذكر القلقشندي (3) أن قلم الثلث نوعان:

1- **قلم الثلث الثقيل:** وهو المقدرة مساحته بثماني شعرات، وتكون منتصباته ومبسوطاته قَدْرَ سبع نقط على ما في قلمه.

2- **قلم الثلث الخفيف:** وهو الذي يكتب به في قطع النصف، وصوره تشبه الثلث الثقيل، إلا أنها أدق منه قليلاً وألطف، وتكون مقدار منتصباته ومبسوطاته خمس نقاط (اللوحات 12,11,10,9).

هذا، وقد ذكر المؤرخون: أن الخط الثلث هو أول خط ظهر منبثقًا عن الخط الكوفي منذ بدء نشأة الأقلام في أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي.

(1) سهيلة الجبوري: تاريخ الخط العربي، ص50 .

(2) انظر: الملخص في حياة هؤلاء الخطاطين.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى 14/3.

وذُكرَ أن الثلث مشتق من القلم الجليل، مع جملة خطوط اشتُقت منه، وهناك الثلث الصغير، والثلث الكبير، وهناك قلم الثلثين، وأشار القلقشندي إلى أن إبراهيم الشجري تعلم الخط الجليل عن إسحاق، واخترع منه قلمًا أخف، اسمه: "الثلثان" ، ثم استخرج من الثلثين قلمًا آخر أسماه "الثلث".



اللوحة رقم (9)



اللوحة رقم (10)



اللوحة رقم (11)

بسم الله الرحمن الرحيم

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

اللوحة رقم (12)

وذُكر أيضًا أن للكتابة بخط الطومار طريقتين، إحداهما طريقة "الثلث"، والتي تعتمد على أساس الحركة الدورانية "التقوير"، والأخرى: "المحقق"، والتي تعتمد على السطح، ويميل الثلث إلى الاستدارة أكثر من المحقق.

ومهما يكن من أمر، فإن الثلث من الخطوط الجميلة والراقية، ذات الأداء القوي، وهو خط لايزال يحتفظ ببقائه ووجوده وتألقه، ويُعدُّ من أشهر الخطوط في عصرنا الحاضر، مع ماأُدخل عليه من تطوير وإجادة، ولا يُعدُّ الخطاطُ مجوِّدًا إلا إذا أتقن الثلث (1).

ويرى المتخصصون: أن مرتبة الثلث تأتي في المرحلة الثالثة من الطومار، والطومار في المرتبة الثالثة من الكوفي، ويُدّعى الثلث بأم الخطوط، وهو أصعب الخطوط، ونحن نجده غاية في الرفق والتناسق، ويكتب هذا الخط في السطر أحيانًا بفاصلة، وأحيانًا يتداخل الكلام، أو يلتف بعضه على بعض، وتدخله الحركات الإعرابية، والضوابط، والتزيينات، والحروف الخفيفة الصغيرة.

❖ الديواني ، والديواني الجلي:

ظهر هذا الخط في العصر العثماني على يد خطاطين مهرة، ذُكر أنهم اقتبسوه من التعليق، واستخدم في الأمور الديوانية؛ ولذلك دعي بالخط الديواني، وهو خط متأخر، لم يرد مع بقية الخطوط التقليدية الرئيسية الأخرى.

وفي البلاد العربية انتشر الديواني في مصر والعراق والشام، وتطور في الدواوين السلطانية، وكتبت به الفرمانات والتواقيع الرسمية.

يقول حبيب الله فضائلي (2): "الخط الديواني خط جميل وجذاب، شريطة أن يكون الكاتب متمكنًا من قواعده"، وقد تفرّع عنه - بعد نشأته - خط الديواني الجلي، ولدينا آثار مؤرخة في القرن التاسع عشر (الميلادي) باسم الديواني الجلي.. وقسموا الخط الديواني إلى قسمين: ديواني خفي ، وديواني جلي، والديواني الخفي يستخدم عادة مهملاً من التشكيل، وعاطلاً عن التزيين، ونقطة هذا النوع من الديواني والرقعة واحدة، واثنتان بصورة مستطيلة، وثلاث نقاط شبيهة بالعدد ثمانية، وهذا بالطبع في الخطوط العربية.. أما الديواني الجلي

(1) سهيلة الجبوري: المصدر السابق، ص 36.

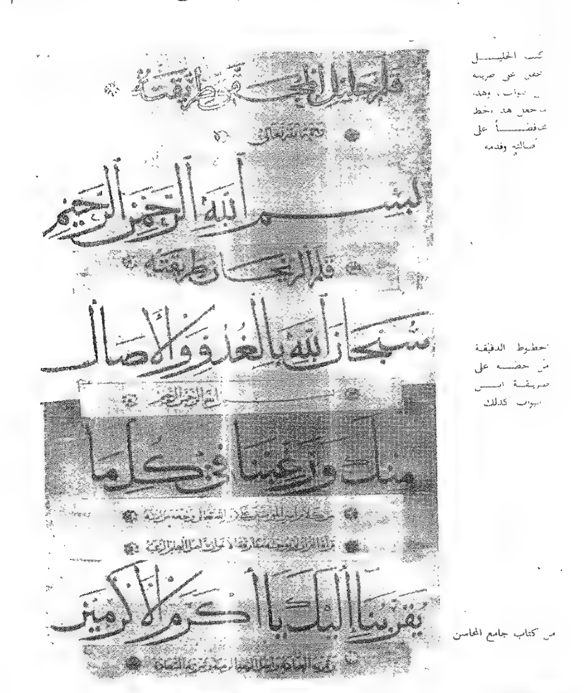
(2) في كتابه: أطلس الخط والخطوط، ترجمة الدكتور محمد التونجي، ص 394، وهو من المصادر الممتازة في تاريخ الخط العربي.

فيجيء مشكولاً تمامًا، مع نقاط مربعة، وتزيينات بنقاط دقيقة، بحيث إنهم يملئون الخط والشكل والنقطة محل الكتابة في الطول والعرض.

وبعد، فالخط الديواني من الخطوط الجميلة، فيه من قيم الإبداع الشيء الكثير، ومن الممكن التطويع فيه، والتجميل، لكن نماذجه المعقدة صعبة القراءة لتداخل حروفه وتشكيلاته، ويرى الكُتّاب أنه أقل مرتبة من التعليق. وأخذ هذا الفن يستعمل أسلوبًا من أساليب التفنن الجمالي للخط والتفنن فيه (لوحة رقم 13) و (اللوحة رقم 14).

❖ التعليق، والنستعليق، والشكستة:

قال المؤرخون: إن النسخ العربي المستخدم في القرن الأول شبيه بالتعليق، وقد عرف لدى الخطاطين في الشرق أكثر من الخطاطين العرب، واستخدم في المراسلات والمكاتبات الرسمية، ثم توسع استعماله، وتعلَّم الكُتَّابُ العرب خط



اللوحة رقم (13)

بسم الله الرحمن الرحيم
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في سنن أبي داود ج ٤ : قال رسول الله ص لو لم يبق من الدنيا إلا يوم
لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله
يطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض
ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً يواطي
قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. صدق الرسول الذي لا ينطق عن الهوى
اسمه اسمي يملأها عدلاً وقسطاً كما
ملئت ظلماً وجوراً — صدق رسول الله الأمين — رواه الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد
كتبه برسم المحقق والريحان حبيب الله فضائلي ١٣٨٨

اللوحة رقم (14)

التعليق، فكتبوا به للخلفاء والأمراء.

وهناك أنواع من التعليق: تعليق قديم، أو التعليق الأصل، والشكستة تعليق، والذي ظهر بكثرة استعمال التعليق في القرن السابع الهجري، وانتشر في القرن الثامن الهجري، ولم يرد ذكر التعليق في (صبح الأعشى) للقلقشندي، وشهرته ـ على الرغم من جماله ـ أقل من الثلث والنسخ وغيرهما.

ظهر خط التعليق على أساس الحروف العربية، مقتبسًا عن التوقيع والرقاع والنسخ، مع تأثر واضح بالخطوط الشرقية، ويحتمل أن يكون ظهوره بدءًا من القرنين: الخامس والسادس الهجريين، مع كثير من مراحل التطور، واتخذ شكله التقليدي في أواسط القرن السابع الهجري، ثم اكتمل نضجه في القرن الثامن الهجري، حيث تبدل القلم إلى الشكستة تعليق، وغدا الشكستة خاصًا بالمنشئين وعمال الديوان، وكان يُدْعَى أحيانًا: خط الترسل، وشيئًا فشيئًا تحول شكل التعليق إلى أشكال أكثر بساطة في العصور المتأخرة، وأكثر شهرة.

وحين انتشرت خطوط التعليق والشكستة، والنستعليق المرادف لهما، عرفها الخطاطون العرب، في مصر والعراق، وكذلك الخطاطون في تركيا، حسب أساليبهم الخاصة التي تتلاءم وأذواقهم المتأثرة بالخطوط العَربية الأخرى.

وتعد خطوط التعليق والنستعليق والشكستة متقاربة، وهي تأتي في المرتبة الثامنة والتاسعة من النسخ، وذلك بالنسبة إلى سهولة قراءته وكتابته، كما يذكر المتخصصون (1).

وفي هذه الخطوط تداخل والتواء، حتى ليبدو للمرء أن الحروف المنفصلة متصلة، بل إن كثيرًا من الكلمات تتلاصق فيما بينها، وحروف هذه الخطوط لاتبدو بشكل واحد، فهي مرة غليظة، ومرة دقيقة، لكن كلمات التعليق والنستعليق والشكستة تبدو ذات منظر أخَّاذ وجميل على صفحات الكتب واللوحات (2). (اللوحة رقم 15).

وقد ظهر قلم الشكستة تعليق بعد أن شاع خط النستعليق. وفي البدء، لم يكن الخطان يختلفان كثيرًا، وشاء الخطاطون أن يتصرفوا ويعطوا للخطَّين تميّزًا؛ فحوَّروا في الحروف، إمالةً واتصالاً، وإطالةً وانبساطًا.

(1) محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، ص 37.

(2) المصدر السابق.



اللوحة رقم (15)

ويتضح من نماذج هذه الخطوط أنها لم تظهر فجأة، بل كان لها - مثل بقية الخطوط الأخرى - تاريخ وتطور وتحوير، وقد أضيفت إلى هذه الخطوط الشقيقة تجويدات وتحليات، لكن الحاجة إلى استخدام هذه الخطوط لم تعد قائمة، ومع ذلك بقيت تراثًا فنيًا يجد مكانه حتى اليوم بين الخطوط الأخرى(1).

❖ الرقعة:

الرقعة لغةً (2): الخرقة التي يُرقع بها الثوب، وجمعها الرقع والرقاع، والرقعة قطعة الورق أو الجلد، أو سواهما مما يخط أو يكتب عليه.

وهذا الخط من الخطوط البسيطة، والأقل تعقيدًا من سواه، ويكاد يخلو من التحسينات والتزويقات الشكليَّة، قليل التدوير والميلان، وقد استعمل للخطوط السريعة والعنوانات. وقد انتشر مع انتشار الصحافة، حيث كتبت به رءوس الأخبار والموضوعات، كما انتشر ليكون خطًا تجاريًا فيما بعد.

وهذا لايعني التقليل من شأن هذا الخط، فهو خط جميل، له أصوله وقواعده وقوانينه، شأنه شأن بقية الخطوط الأخرى. وقد استعمل أيضًا في دواوين الدولة.

وتوجد من خط الرقعة نماذج جميلة ورائعة.. وقد انتشر بمصر والعراق، ويرى بعض الكُتَّاب أنه خط وسط بين النسخ والديواني، ولكننا لا نوافق على هذا الرأي؛ لأنه بعيد عن أسلوب هذين الخطين، ويتميَّز بهويته المستقلة.

إن خط "الرقعة" خط واضح ومتين، وسلس في الكتابة والتدوين، وقد ترك الخطاطون الكبار المعاصرون، أجمل النماذج لخط الرقعة، واهتموا به مثل الاهتمام ببقية الخطوط الأخرى (3).

❖ أنواع أخرى من الخطوط:

وهناك أنواع أخرى كثيرة ومتعددة، كانت تعبر عن ذوق الخطاطين وقدرتهم

---

(1) محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، ص 37.

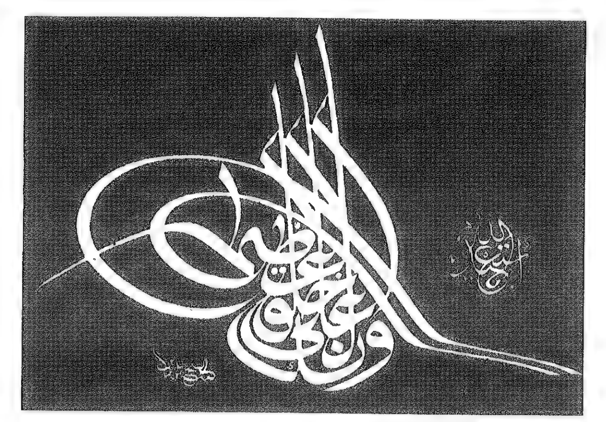
(2) معاجم اللّغة: (تاج العروس) للزبيدي، (القاموس المحيط) مادة: رقع.

(3) سهيلة الجبوري: المصدر السابق، ص71.

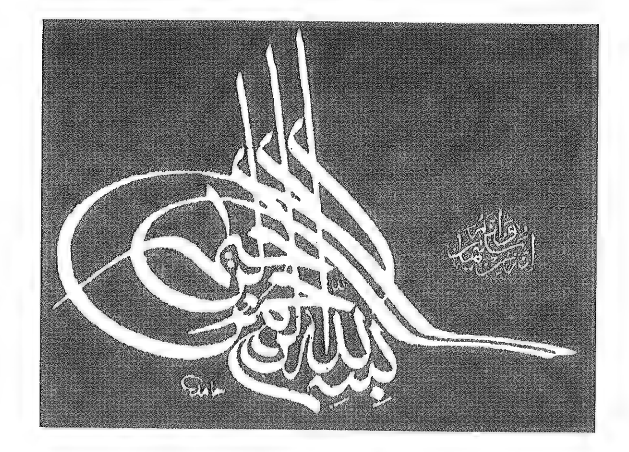
على الإبداع، ومن تلك الخطوط: الطغراء، فهي نوع من الخط المرسوم بطريقة الحزوف الملتفة والمتداخلة بعضها ببعض، تدخل فيها الأسماء والألقاب..

(اللوحات 19,18,17,16)

ولفظة الطغراء ليست عربية، أصلها: الترهة أو "الطُّرَّة"، أي الوجه غير المكتوب من العملات المسكوكة، والطغرائي الذي سمي بهذا الاسم هو الذي كتب

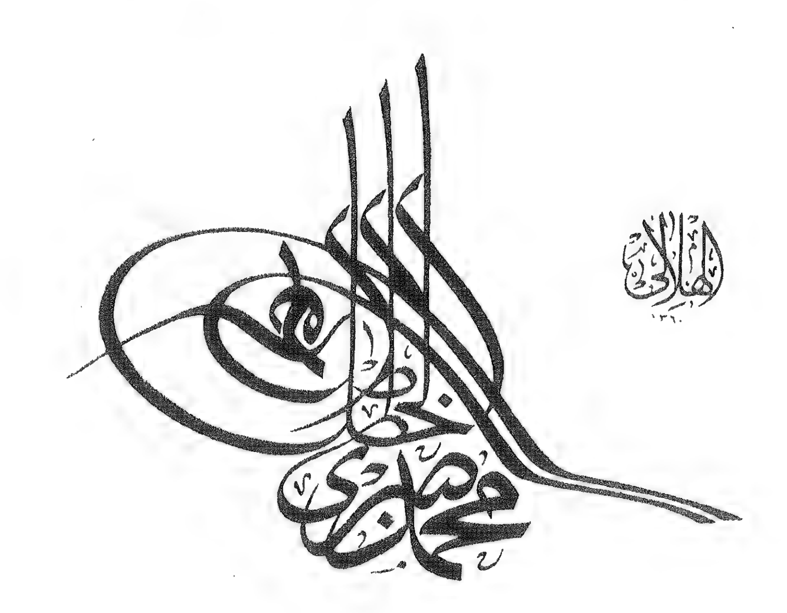


اللوحة رقم (16)



اللوحة رقم (17)

اللوحة رقم (18)



اللوحة رقم (19)

"الطرة"، وهو صاحب اللاميَّة المشهورة باسمه، وكان شاعرًا وخطاطًا (1).

وصور الطغراء متنوعة، منها مايحمل اسمًا فقط، ومنها ما يحمل مقطعًا، كأن تكون آية قرآنية قصيرة، أو البسملة، أو رسوم طير، أو حيوانًا خرافيًا، وقد جرت على كتابة الطغراء تطورات وتحليات.

وتكتب الطغراء بأنواع مختلفة من الخطوط، منها: الثلث، والنسخ، والنستعليق، والديواني، وانتشرت في الفترات المعاصرة على يد الخطاطين الأتراك، أمثال: "حامد الآمدي"، و"محمد الزهدي"، وللخطاط "هاشم البغدادي" طغراءات جميلة، كما انتشرت الطغراء بمصر، وكتب بها "عزيز الرفاعي"، و"حبيب الله فضائلي"، و"صبري الخطاط"، و"محمد عزة الكركوكي"، وغيرهم.

وهناك أيضًا أنواع كثيرة من الخطوط، منها ما هو رئيسي متفرع عن خطوط أخرى، ومنها ماهو فرعي متطور، تفنن به الخطاطون. فخط "السياقة" مثلاً كان متداولاً في الصحف المصرية حتى حين، ولكنه كان خطًا محدودًا. وقيل: إن العثمانيين استخدموه، وهو أقرب ما يكون إلى الخط الديواني، وتشوبه أحرف من الرقعة أو الكوفي، وقد أُهمل استعماله منذ حين.

أما الخط "السنبلي"، وهو خط له حروف من الديواني، فقد راج بعض الحين لَدَى خطاطي الدولة العثمانية، ثم انحسر ولم يستعمل إلا في الحلِيَات.

وإلى جانب ذلك، ظهرت أقلام أخرى انتشرت، ثم لم يكتب لها الرواج أو البقاء، مثل: "الرقاع" ، و"غبار الحلبة"، والخط "الحوائجي" (نسبة إلى الحاجة)، وذلك لسرعة الكتابة به، وهو قريب إلى الرقعة، وهناك الخط: المثنَّى، والمحمى، وهو خط تتعسَّر قراءته، ويكتب بشكل فني مقلوب، أو متشابك(2).

وقد تفرع عن هذا الخط خطوط أخرى منوعة، لغرض الزينة والجمال.

* * *

(1) التونجي: أطلس الخط والخطوط، ص 519.

(2) هاشم البغدادي: قواعد الخط العربي (المقدمة).

الباب الرابع

المظاهر الحضاريّة للخط العربي

- كتابة المصحف الشريف .
- الخط ، والشكل ، والنقاط ، والحركات .
- مواد الخط والكتابة .
- المواد الأولية التي كتب عليها الخط العربي .
- استعمالات الخط العربي على المنتجات الفنية .
- الخط والزخرفة .
- الخط والتزويق .

❖كتابة المصحف الشريف:

القرآن كتاب اللّه، وكلمته التي اجتمعت حولها الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، نَزَلَ على رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) في كُلٍّ من مكة المكرمة والمدينة المنورة وَحْيًا مُنَجَّمًا على الثلاث والعشرين سنة الأخيرة من عمره الشريف، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) شديد الاهتمام بالوحي، وتثبيت النص القرآني محفوظًا ومسجلاً:﴿إنَّا نحن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا له لحافظون﴾ (1).

وقد جُمع القرآنُ الكريم كتابةً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة فى عهده يتدارسون القرآن الكريم ويحفظونه في صدورهم ليتمكنوا من قراءته في صلواتهم ليلاً ونهارًا، وقد اشتهر بإقراء القرآن الكريم بعض الصحابة، منهم: عثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله ابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري..

وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كُتَّابًا للوحي، منهم: الخلفاء الأربعة وزيد ابن ثابت، وأبيٌّ بن كعب، وغيرهم.. وفى كتب السُّنَّة كثير من الأحاديث التي تصور رسول الله صلى الله عليه وسلم يملي القرآن على كُتَّاب الوحي، ويُوقِّفُهم على ترتيب الآيات.. وجاء في التنزيل العزيز: ﴿ إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ﴾ (2) .

هذا، وقد جَمعَ أبو بكر الصديق القرآن الكريم بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة بعد أن استشهد كثير منْ حَفَظة القرآن في تلك الموقعة، وذلك برأي من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأمر زيدَ بن ثابت بذلك، فَجُمع القرآن من الرِّقاع، والعُسُب، واللخاف، والأقتاب، والجلود.. وكان أبو بكر بذلك أول من جمع كتاب الله تعالى بين دفتين.

(1) سورة الحجر:9.

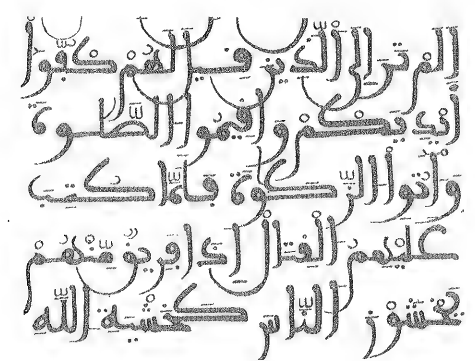
(2) سورة القيامة:17.

ولما اتسعت الفتوح الإسلامية، هال حذيفة بن اليمان وأفزعه اختلاف أهل البلاد المفتوحة في القراءة، فقال حذيفة لعثمان بن عفان ـ وكان خليفة المسلمين آنذاك : " ياأمير المؤمنين، أدرك هذه الأُمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب (يعني القرآن) اختلاف اليهود والنصارى».. فكان هذا هو الباعث على جمع القرآن بصورة تحسم النزاع الناشئ من اختلاف القراءة، وحرق ماعدا ذلك من المصاحف الخاصة؛ وقد تمَّ ذلك بإجماع الأُمَّة، وكبار الصحابة وثقاتهم، وأرسل عثمان إلى الأمصار الإسلامية بمصحف مما نسخه، واختص نفسه بمصحف له، وكان ذلك سنة خمس وعشرين من الهجرة.

وبعد جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان بن عفان انتشرت كتابة المصاحف الشريفة، وتطورت، وَجَوَّدَ فيها الخطاطون أيما تجويد (1).

هذا، وقد استخدمت أكثر الخطوط العربية في كتابة المصحف الشريف، حيث يرجح أن يكون الخطان الحجازيان: المكي والمدني - هما من أوائل الخطوط التي دُونت بها المصاحف المبكرة، كما يرجح أن يكون الخط المائل المصحفي المتميز، بميل قوائم حروفه إلى اليمين، والذي لم يصل إلينا منه إلا النَّزر اليسير من الأوراق المتفرقة.. يرجح أنه قد تطور من الخط المكي.

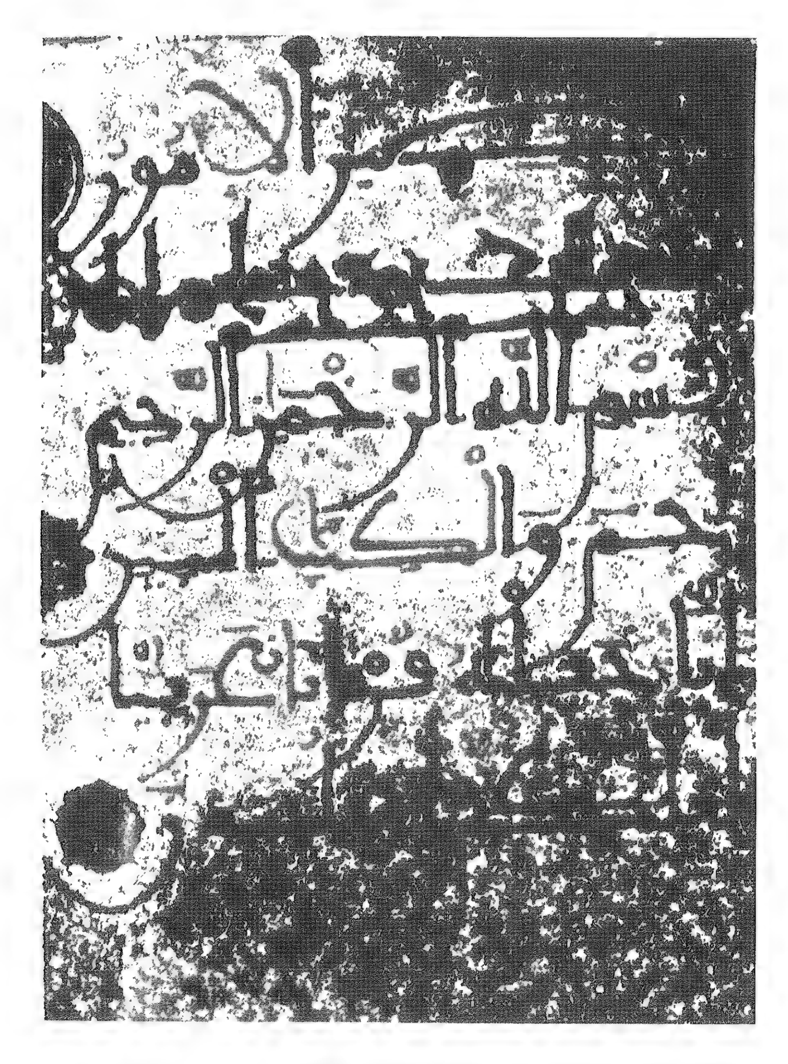
وكتبت المصاحف المبكرة أيضًا بخط "المشق" الذي اشتهر بهذا الاسم لما تتميّز به حروفه من مَدٍّ، وهذا يدل على مدى رغبة الخطاط المسلم في إضفاء المسحة الفنية والجمالية على خط المصاحف (2).



اللوحة رقم (20)

(1) الدينوري: أدب الكاتب، ص 61.

(2) محمد طاهر الكردي:مصدر سبق ذكره، ص 67.

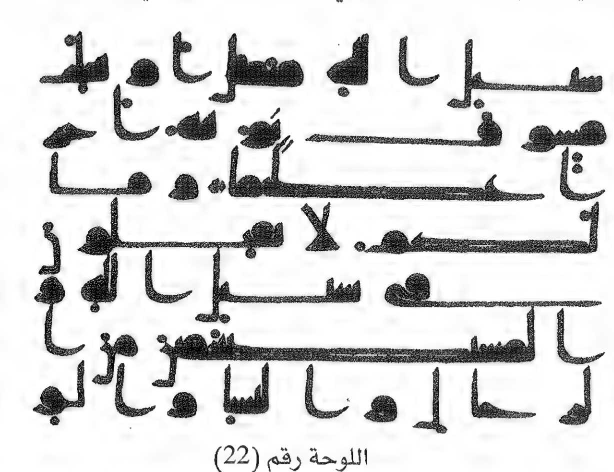


اللوحة رقم (21)

ويعد الخط الكوفي أكثر الخطوط أهميةً وشيوعًا في كتابة المصحف الشريف، حيث أُدخل على حروفه بعض اللين والاستدارة، وظل بمثابة الخط المفضل في كتابة المصحف.

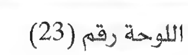
ومن الخطوط المهمة التي سادت في تدوين المصاحف في كُلٍّ من شمال إفريقيا والأندلس: الخط الكوفي المغربي، الذي تطور بدوره عن الكوفي الأصلي في القيروان، وتميز باستدارة الخط وامتدادات حروفه الأفقية (اللوحتان رقما21,20).

ومنذ نهاية القرن الخامس الهجري، أخذ الخط الكوفي بكل أشكاله يختفي



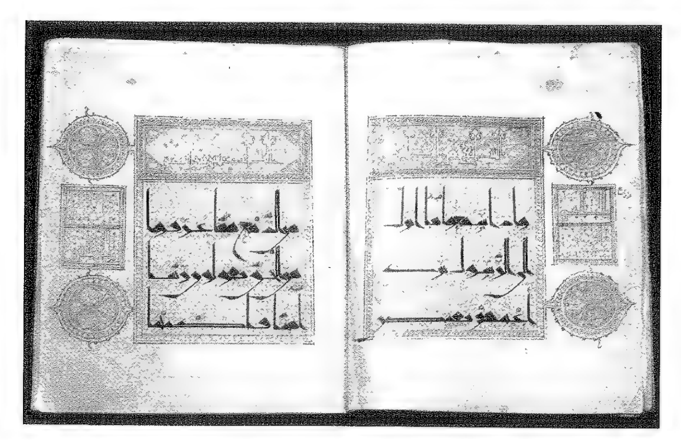
اللوحة رقم (22)



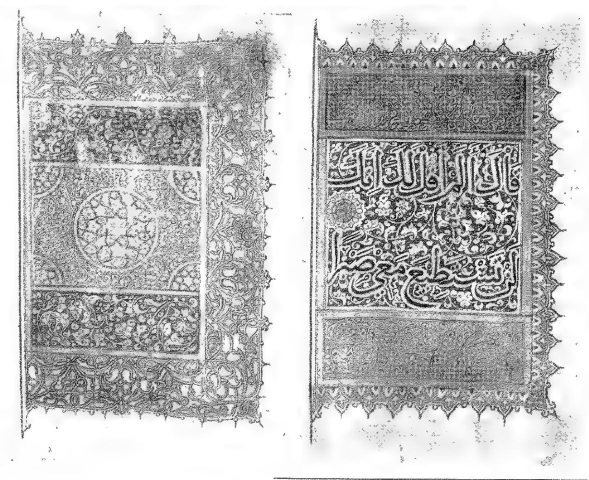


اللوحة رقم (23)

تدريجيًا من عداد الخطوط المستعملة في كتابة المصاحف، حيث اقتصر (منذ القرن السابع الهجري) على كتابة عناوين السور، وفواصل الآيات، وكان أن ظهرت خطوط المصاحف بإضافة النقاط والحركات التي اكتملت على يـديٍّ أبي الأسود الدؤلي (اللوحتان رقما 23,22) ، وأدت كتابة القرآن الكريم بالخط الكوفي إلى إعلاء شأن هذا الخط وإجلاله (1). (اللوحتان رقما 25,24).



اللوحة رقم (24)



اللوحة رقم (25)

(1) الآمدي: المختلف والمؤتلف، ص 74.

❖ المصحف الشريف بخط ابن البواب :

ذكرنا – من قبل – أن النسخة الوحيدة التي وصلت إلينا من المصحف الشريف لابن البواب، والموجودة الآن في مكتبة شستر بيتي، تعد نموذجًا راقيًا لما وصلت إليه كتابة المصحف.

وقد تميزت هذه النسخة بتزيين أرضية الكتابة، وتزيين الحافات المحيطة بالكتابة، وتزيين وزخرفة مواضع السجدات، وكذلك تزيين أُطُر الصفحة، وهي ملونة بألوان مختلفة، منها الأسود والأزرق. أما الكتابة فهي ذهبية وسوداء والزخارف نباتية على شكل أنصاف مراوح نخيلية دقيقة، وفروع نباتية أخرى (1).

وإلى جانب ذلك، نجد نسخة ابن البواب قد امتازت بالرقش العربي: (الأرابسك)، بلون أحمر قرمزي وأبيض على أرضية ذهبية، وبعض الصفحات مغطاة بزخرفة مكونة من نجيمات سُداسية صغيرة، ومستطيلات ملونة.

وابن البواب هو شيخ خطاطي العصر العباسي، وله آثار جليلة، وكانت خطوطه تُباع بأثمان عالية، أما كتابته للمصحف الشريف، فقد بلغت قمة إجادته فيه (2).

❖ الخط، والشكل، والنقاط، والحركات:

كانت الكتابة العربية في مرحلتها الأولى خالية من الشكل والنقط والحركات، ولم يكن هناك ضبط للحروف، فظهر اللحن والتحريف في قراءة القرآن، وقد تطلبت الحاجة أن تضبط القراءة، فقام أبو الأسود الدؤلي (خلافة معاوية ابن أبي سفيان) بوضع علامات على شكل نقط في المصاحف، بمداد يخالف لون مداد الكتابة، وجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة أسفل الحرف، والضمة نقطة من الجهة اليسرى فوق الحرف، والتنوين نقطتين.

وفي زمن "عبدالملك بن مروان" بدأ وضع النقاط على الحروف بالمداد نفسه الذي كانت تكتب به الكلمات لخمسة عشر حرفًا من حروف العربية.

وعلى يد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بدأ رفع الاشتباه بين نقاط الشكل ونقاط الحروف (الإعجام)، إذ استعمل الفراهيدي - ولأول مرة - الأشكال

(1) د. محمد مرزوق: المصحف الشريف، دراسة تاريخية فنية. (مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد 75 ، ص11).

(2) الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص 41.

المستعملة الآن، وهي الضمة والفتحة والكسرة والشدَّة، وهمزة القطع وسواها(1).

ونلاحظ في المخطوطات التي وصلت إلينا من العصر الأموي – وهي قليلة بلاشك – تطور الأساليب المستعملة في الشكل والنقاط، والحركات، والألوان المستعملة فيها.

❖ مواد الخط والكتابة:

للخطاطين والكتبة أدوات خاصة بهم، رافقتهم منذ زمن ظهور الخط، وكثيرًا مايتوقف إتقان الخط على جودة الأداة، ومن أهم الأدوات المعروفة مايلي:

1. **القلم:** ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ن والقلم ومايسطرون﴾ (2) وبواسطته تتم الكتابة.

وكانت الأقلام في العصور القديمة - عند العراقيين القدماء (ومن السومريين على وجه الخصوص) - من الحديد والخشب، يُضْغَط بها عَلَى الطين، فترسم الحروف أو الخطوط.. وكان للقلم عدة أشكال، منها: المثلث، والمربع. وأطرافه : إمَّا ثقيلة وإما خفيفة، ونرى ذلك واضحًا في الكتابة المسمارية في العراق.

أمَّا في مصر، فكان يُكتب على البردي بأقلام من قصب مبريَّة، وهذا القلم القصبي الذي يستعمله الشرقيون في الوقت الحاضر هو عينه الذي كان يُستعمل في الماضي.

وقد وَرَدَ لفظ "القلم" في معاجم العربية، وكتب اللغة أيضًا، ومن اشتقاقاته: "القلام"، وهو شجر رخو، والقلم لايسمى كذلك حتى يُبْرَى، و"التقليم": وهو القَطْع، ولايكتب بالقلم من غير أن يُقطع منه (3).

وقد كان الخطاطون – ولايزالون – يكتبون بالقصبة، وهي من نبات القصب المتوافر من منابته على شطوط الأنهار.

وقد وَرَدَ "القلم" أيضًا في كتب الأدب، ودواوين الشعر، وذُكر مثلاً سائرًا عند العرب، كقولهم: "عقول الرجال تحت أسنان أقلامها." وقيل: "ماعبرات الغواني في خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام في بطون الكتب!".

(1) سهيلة الجبوري: تاريخ الخط العربي، ص37.

(2) سورة القلم:1.

(3) انظر معاجم اللغة العربية : الفيروز ابادي: القاموس المحيط، والزبيدي: تاج العروس، وابن منظور: لسان العرب، (مادة: قلم).

وكان الأدباء العرب والخطاطون المهرة يتقنون صنع قلم الخط وقصباته (1)، ويتفننون بها، فلكل خط قلمه، إذ تُقطع القصبة على زاوية معينة، فيأتي الخط وفق ميل الزاوية وَبَرْيها.

قال أحد الشيوخ: "أحسن الأقلام ما توسطت حالاته في الطول والقصَر، والغلَظ والرِّقَّة، وتُبْرَى قصبة الخط بريًا يتماشى مع نوع الخط ووصفه.. ولِبَرْي القصَبة أصول وقواعد يتعلمها الخطاط، ويبدع فيها قدر إبداعه للخط ذاته، فقالوا: "تعليم البراية أكبر من تعليم الخط"، وقالوا: "جودة البراية نصف الخط".

وقد أوصى أئمة الخطاطين تلاميذهم بحُسْنِ براية القصبة أو القلم، ووضعوا لهم القواعد لذلك؛ لأن البري يدل على حذق الخطاط وفهمه وقدرته عليه.

2. **الحبر**: وفي اللغة: ـ "المداد" وقد وردت لفظة "المداد" في القرآن الكريم: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات رَبِّي لنفد البحر قبل أن تَنْفَدَ كلمات ربِّي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ (2).

كما وردت لفظتا "الحبر" و"المداد" في معاجم اللغة (3)، فَسُمِّيَ الحبرُ حبرًا لأنه يُحَبِّر الخط، أي يُحسنُه ويُزيِّنه. وذكر (الصولي) في (أدب الكتاب) (4) معاني اشتقاقات الحبر، ومنه لفظ "حَبْرُ الأمة": عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما).

أما المداد ،فقد سُمِّي كذلك لأنه يمدُّ القلم ويعينه (5) وقيل في المداد شِعْر لطيف، ووردت فيه أمثلة عديدة، كقول الشاعر:

رُبع الكتابة في سوادِ مدادها والربع حسن صناعة الكُتَّاب

وصناعة الحبر قديمة عند العرب، وربما تعلَّموها أو أخذوها من أمم أخرى، وقد تطورت صناعته حتى بلغت كمال جودتها في العصر العباسي، إذ كان الحبر يُصنع من مواد نباتية (6).

وللحبر أصناف وأنواع وألوان، فمنه ما يُؤْخَذُ من مادة "العفص"، وذلك بعد

(4) الجهشياري: الوزراء والكُتَّاب، ص52.

(2)سورة الكهف:109.

(3) د. محمد إبراهيم: مقدمة للوثائق العربية، ص12.

(4) المصدر السابق.

(5) د. عبدالعزيز الدالي: البرديات العربية، ص27.

(6) سهيلة الجبوري: تاريخ الخط العربي، ص124.

دَقِّه حتى يصير مسحوقًا ناعمًا، ثم يمزج بماء الورد، ويوضع في الشمس مدة أربعين يومًا من أيام الصيف، ومن ثم يُصَفَّى ويكتب به.

ومنه الحبر المصنوع من الأرز، ويكون لونه بُنِّيًا غامقًا، بعد أن يُحمص الأرز على النار بعد غسله وتجفيفه، ثم يُدَق حتى يصبح مسحوقًا ناعمًا، ويضاف إليه قَدْر من الماء والصمغ العربي.

وهناك حبر زيت الزيتون، ويتم صنعه بحرق الزيتون، وتؤخذ صبغة "النيلج" الناتجة عن حرقه، ويمزج مع الصمغ العربي، ثم يخلط بالماء، ويترك أيامًا، فيكون حبرًا لَمَّاعًا.

وهناك أنواع أخرى مثل: الحبر المصنوع من عصير البصل، وكان يستعمل للكتابة السرية، وحبر الذهب المصنوع من رقائق الذهب المخلوطة بالصمغ بعد إذابة الذهب والماء، فيطفو الصمغ ويترسب الذهب، ويترك يومًا كاملاً، ثم يُصَفَّى ويكتب به، وتزوق الصفحات، وتكتب به الأسماء الجليلة.

وهناك أحبار رخيصة الثمن، كالمعمول من سُخام النفط وغيره، وقد ذكر القلقشندي(1) في (صبح الأعشى) طُرقًا كثيرة لصناعة الحبر، وذكر أنواعه ومواطنه.

ويوضع الحبر في قنينة صغيرة تُسَمَّى "الدواة"، والدواة هي المحبرة، وتتخذ من أنواع الخشب الثمين، كالأبنوس، والسيسم، والصندل. وقد تطورت صناعة الدواة، فصارت تعمل من المعدن المزخرف، أو من الزجاج، أو الفخار، ونجد من بين نفائس الآثار الإسلامية أنواعًا منها تعود للعصر العباسي، منقوشة بأجمل الخطوط.

❖ المواد الأولية التي كتب عليها الخط العربي:

ذكرنا أن العرب في عهودهم القديمة قد كتبوا على مواد بسيطة، كالأُدُم ـ أو الجلد المدبوغ ـ وذلك في الأزمنة السابقة للإسلام، وفي زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكان يكتب على الرقوق أو الرقاع، كما كان يُستعمل العَسِيبُ، وهو جريد النخل الذي لاخوص فيه، ويراد به القسم العريض منها.

قال زيد بن ثابت عند جمعه القرآن: "وجعلت أَتَتَبَّعُ القرآن من العُسُب

(1) صبح الأعشى 22/1.

وَاللِّخاف" (1).

كماَ كان يُكتب على عظام الجمال والأغنام، كالأضلاع والأكتاف العريضة بعد أن تجفف، وقد يخرق العظم ويُشَدّ بالحبل للرجوع إليه.

كما كان يُكتب على كسرِ الخزَف، وعلى الألواح الخشبية، وقد جاء ذكر الألواح في القرآن الكريم (2).

أما الأقمشة فقد كُتب عليها أيضًا، وعليها كتبت "نسجًا" المعلقات السبع قبل الإسلام، وعلقت ـ كما تذكر المصادر ـ على أستار الكعبة.

❖ استعمالات الخط العربي على المنتجات الفنية:

وبعد أن تطورت الحياة العربية، تطورت استعمالات المواد التي يُكتب ويُخَط عليها وتنوعت مصادرها، فبعد أن شاع استعمال الورق تطور الخط ودخل مرحلة الإبداع مع ازدهار الحضارة العربية، فنجد الخطاطين يختارون الخامات التي تتفق ومهارة ماينتجه الصُّنَّاع من أعمال راقية من أنفس الأعمال من التحف والهدايا والصناعات الفنية.

ومن الطبيعي أن يكون الورق هو أقدم مادُوِّنت عليه الخطوط، وقد تحدثنا في فصل سابق عن الورق والكاغَد ودورهما في إشاعة وانتشار الخط، وحفظه على مر العصور، أما المواد الأخرى فهي:

1ـ الآجُرُّ والجص والرخام:

كان الآجُرّ العربي يحلِّي واجهات القصور، والمحاريب، وجدران القاعات الآجرية، والقناطر، والمدارس والمساجد : ونجد أكثر الأمثلة للخطوط العربية بنوعيها: الثلث والكوفي ممثلة بعمائر العراق في العصر العباسي، كالمدرسة المستنصرية المطلة على نهر دجلة، والقصر العباسي، وأبواب بغداد وخاناتها وخاصة المتأخرة منها: مثل: خان مرجان، والجسور: مثل جسر حربي (المشيد على مجرى نهر الدجيل).

وتعدُّ الخطوط الموجودة على الحجر والجص من أقدم النماذج التي زُينت بها المباني في العصرين: الأموي والعباسي. ومن أبدع النماذج للخطوط المحفورة مع

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 475.

واللّخَافُ: جمعُ لَخْفَةٍ، وهي حجارة بيضاء عريضة ورقيقة.

(2) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي 2/242.

وانظر:سورة الأعراف: الآيات 154,150,145. وسورة البروج : الآيتان 22,21.

الزخارف هي تلك الموجودة في العراق والشام، وتوجد في سامراء نماذج من هذه الخطوط.. ثم انتقل هذا الفن في عصر الخلافة الأموية إلى الأندلس، حيث تداخلت مع الخطوط زخارف نباتية مجردة ذات حَفْرٍ دقيق، وكذلك الحفر على الرخام حفرًا دقيقًا.

وتمثل زخارف قصر الحمراء بغرناطة أجمل النماذج، حيث يندمج الخط الكوفي والنسخي مع الزخارف النباتية والأشكال الهندسية اندماجًا كاملاً ، ويلاحظ في تلك النماذج الزخارف والخطوط التي تقوم أساسًا على التكرار المتقن، ولكنه تكرار غَنيٌّ، فائق الحد بالعناصر الزخرفية المتعددة، وكان استغلالُ الخطوط المتنوعة في عمل الوحدات الزخرفية يزيد من روعة الجمال والمهارة للخطاط العربي، إذ استعُملت فيها كلمات في وضع مقروء، يقابلها كلمات في وضع معكوس، وذلك لتحقيق التماثل السائد في التصميم.

أمَّا الرخام، فكثر استعماله في العصر العباسي لتجميل القصور، وتحلية واجهات المحاريب، وغيرها. وكانت الزخرفة الخطية تُكتَبُ بِالخَطَّيْن: النسخي والكوفي. وفي الحقيقة، فإن المواد البنائية ـ كالحجر والجص والآجر ـ كانت أكثر المواد حفظًا للخطوط، لقدرتها على مقاومة الزمن.

2ـ الخزف:

يعد من الفخار، والخزف من أهم الحِرَف الفنية التي مارسها الفنان العربي منذ أن تَوَطَّدَتْ أركان الإسلام في مختلَف البلاد العربية؛ وذلك، لأن فن الفخار والخزف قد حقق فكرة الحضارة الإسلامية في جوانب متعددة؛ ذلك، أن روح الإسلام السمحة لم تكن تتماشى والترف، واستعمال الخامات الغالية، كالذهب والفضة؛ ولذلك أقبل الفنانون المسلمون والعرب على فن الخزف إقبالاً عظيمًا، وأخرجوا منه تحفًا غالية، ووصل إنتاجهم من الأواني والتحف إلى درجة عالية من الجودة والإتقان، ومن حيث الشكل والجمال وتعويضًا لأواني الذهب، فقد أنتجوا خَزَفًا مطليًّا طلاءً ذهبيًّا، عُرِف بالخزف ذي البريق المعدني، الذي يُعَدُّ صفة خاصة انفرد بها الفن الإسلامي.

ولاشك أن تلك المنتجات الفنية من الخزف قد احتوت على نماذج كتابية مختلفة تميزت بخطوط متنوعة، وبأسلوب بارز أو غائر أو مسطح، وتوجد في متاحف العالم أجمل النماذج الخطية المكتوبة على الفخار.

وقد عثر المنقبون على كسرات فخارية لجرار وأوان قديمة تحمل خطوطًا - كالكوفي والنسخي - وكثيرًا ما كانت الخطوط العربية التي تستخدم في كتابة الآيات القرآنية تعمل بألوان مغايرة للون السطح، وتحيط بها زخارف نباتية في الغالب، وقد وصلت إلينا من العصر العباسي نماذج من أجمل صحون ومزهريات الخزف المحلاة بالكتابات والخطوط.

3ـ الخشب:

كانت مصر والعراق أهم مركزين لصناعة الخشب وزخرفته، وخصوصًا في العصر العباسي، فقد برع البلدان في صناعة: الأبواب، والمنابر، والأضرحة، والشبابيك، وقطع الأثاث، واعتنيا بزخرفتها وإدخال الخط العربي في ثناياها من خلال الحفر أو التطعيم، أو التلبيس بالخشب أو المعدن.

ومن النماذج الرائعة للخطوط العربية على الخشب ضريحٌ أَمَرَ بِصُنْعِهِ الخليفة المستنصر بالله (624 هـ)، حُفِرَتْ على وجوهه الأربعة كتابات كوفية زخرفية بديعة، بحروفها الناتئة العريضة، على أرضية نُقشت بزخارف دقيقة.

وتوجد في مصر على الأبواب والأضرحة أجمل الخطوط على الخشب المطعم والمكفّت، ومن التحف الخشبية ماهو موجود في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (ثلاثة محاريب) مزينة بالزخرفة والخط الكوفي، منها: محراب السيدة نفيسة، ويعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

4ـ المعدن:

صناعة المعادن قديمة جدًا، وقد برع الصُّنَّاع العرب في إنتاج الأعمال المعدنية والنحاسية، كالشمعدانات، والأباريق، والمحابر، والأواني، والصواني، وأدخلت على هذه التحف الزخارف البارزة الناتئة، أو المكفتة بالفضة بأساليب التطعيم والتلبيس والضغط .

وكان الخَطَّان: الكوفي والنسخي هما الشائعَيْن في تجميل التحف المعدنية، وتوجد في متاحف الفن الإسلامي نماذج كثيرة لها.

ونجد على المعدن عادة الخطوط المتشابكة مع صور الطير والحيوان، وقد اشتهرت مدينة الموصل بإنتاج تلك النماذج الممتازة، حيث كان النحاس الأصفر يكفت بالذهب والفضة.

5 ـ النقود:

احتفظت النقود العربية بأقدم نماذج الخط الكوفي منذ التاريخ الأول لإصدارها في مطلع العصر الأموي، على الرغم من أن الدينار الأموي لم يُكتب عليه اسم الخليفة، ولا مدينة الضَّرب.

أما الدينار العباسي فقد ذكر عليه اسم المدينة التي سُك بها، وخاصة في عهد المأمون، وذكر أول اسم للخليفة باسم (هارون)، ويُقْصَدُ به هارون الرشيد. وكانت الخطوط في أكثرها كوفية بسيطة.

6 ـ النسيج:

بعد ازدهار الحضارة الإسلامية بدأ اهتمام الخلفاء بصناعة النسيج، ووضعوها تحت رقابة الحكومة، بل إن الدولة أنشأت مصانع لحسابها كانت تُسَمَّى "دور الطراز"، أنتجت أقمشة فاخرة، وأطلق على "الطراز" اسم الأقمشة التي كانت تزخرف، أو تنقش، أو يُكتب عليها الكتابات، وخاصة المصنوعة من الحرير، والموشاة بالأشرطة.

وقد وصلت إلينا نماذج من تلك الصناعات النسيجية كالأردية الموشاة بالخطوط المصنوعة من الفضة أو الذهب، تحيط بها الزخارف، وأشكال الرسوم المختلفة، بخطوط وكتابات بحروف صغيرة، وأخرى بحروف كبيرة بحيث تبدو واضحة مقروءة.

وقد كان الخلفاء والأمراء يعنون كثيرًا بكتابة أسمائهم على الأردية تخليدًا لذكراهم.. كما كانت تكتب على الأقمشة أدعية وعبارات مُقتبسة من الشعر.

ولدينا قطعة من الحرير من صناعة بغداد تعود إلى ما بين القرن الرابع أو الخامس الهجري، قوامها زخرفة على الحرير، وحولها أشرطة كتابيَّة بالخط الكوفي.

❖ الخط والزخرفة:

يُعَدُّ الخط العربي أهم عنصر من العناصر الزخرفية في الفنون الإسلامية، وذلك لكراهية الإسلام للصور الآدمية، والحيوانية، خشية مضاهاة خلق الله، ورغبة في ملء أسطح المواد.

وقد تعاون الخطاطون مع الفنانين في إخراج أعمال فنية وتحف ثمينة تَدَاخَلَ

فيها الخط بالزخرفة، وارتقت أعمالهم بفضل التعاون الفني، فلم يكن "الكتاب" وحدة فنية قائمة بذاتها، بل أصبح (وخاصة في العصر العباسي) عملاً فنيًا متكاملاً من حيث الشكل والإخراج، لهذا كان "فن الكتاب" من أهم الفنون الإسلامية التي تشتمل على فروع الفن، والخط هو الأساس فيها، ثم الزخرفة والتذهيب، والرسم والتجليد.

وذكرنا: أن كتابة المصاحف هي أول الميادين التي عمل فيها الخطاطون والمذَهِّبُون، وقد كانت المعايشة بين الخط والزخرفة سببًا في تطور الفنين معًا، حتى انفرد الفن الإسلامي من بين فنون العالم أجمع بالخط الزخرفي الذي استعمل في أوسع نطاق، وفي جميع المنتجات الفنية.

وفي الحقيقة، فإن الزخارف الخطية قد عُرفت في بعض الحضارات السابقة للإسلام.. ولكنّ لهذه الزخارف أهمية خاصة في ظل الإسلام؛ وذلك، لأن معجزة الإسلام الكبرى هي القرآن الكَريم، وهو كتاب سماويٌّ فُصِّلَتْ آياتُه، وأصبحت تلاوة القرآن وكتابة آياته من أعظم الوسائل التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، ومن ثم كان من البداهة أن تحل الآيات القرآنية في المساجد محل الصور التي نراها في الكنائس.. وهكذا، أصبحت مهنة الخطاط أشرف المهن. أليس الله سبحانه وتعالى هو الذي عَلَّمَ بالقلم، عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم؟!

وهكذا، أدرك الفنانون المسلمون أن الخط العربي يتصف بالخصائص التي تجعل منه عنصرًا زخرفيًا طَيِّعًا، يحقق الأهداف الفنية، وكثيرًا ما استعمل الخط استعمالاً زخرفيًا بحتًا، دون الاهتمام بالمضمون المكتوب.

والخط العربي يتعشق الزخرفة ويهواها، وعندما تطور الخط في العصر العباسي، وامتدت حروفه واستطالت، بدا وكأن شيئًا ما ينقصه، وإذا بالتشكيلات الورقية النباتية ذات الأشكال الأنيقة تكمل تلك الاستطالات وتحتويها لكيلا تبقى مجردة جافة، وقد كان هذا الزخرف النباتي في أول أمره امتدادًا لأواخر الحروف، ليتسق معها في مظهرها الجمالي في الطول والسُّمك.

وفي نهاية العصر العباسي، بدأ الفنانون المسلمون في إضافة ابتكارات جديدة، إذْ أخرجوا الفروع النباتية من جسم الحرف نفسه، وكأنما تخرج من إناء متشعبة إلى شبكة من الخطوط والانحناءات.. ثم أضاف الفنانون والخطاطون إضافة جديدة عندما رتبوا موضوعاتهم الخطية على مستويين، فظهرت الحروف القوية محفورة حفرًا على أرضية رقيقة من أوراق الأزهار والفروع المتشابكة، وسُمِّيَ هذا الخط: "الخط المزهر".

❖ الخط والتزويق:

التزويق هو التجميل، وزَوَّقَ الشيء: جَمَّلَه، ولَوَّنَهُ وسَوَّاه.. وقد برع العرب في تزويق الكتب، ودخل التزويق عنصرًا مرافقًا للخط، حيث اللون والتحلية والتذهيب.

فبعد الانتهاء من خط الكتاب ـ أو الصحيفة ـ بالحبر العادي أو بحبر الذهب، يُجعل للصفحة إطار من حبر الذهب، ثم يبدأ بتذهيب الورقة، وذلك برسم الورد والزخارف العريقة.

والتذهيب على نوعين: التذهيب "المُطْفَأ" أي غير اللماع، ويتم ذلك بوضع ورقة فوق الزخرفة الذهبية، ثم تدلك بقطعة من المحار، وبذلك يقل لمعان الذهب، إضافة إلى تماسكه عَلَى الورقة المزخرفة، ثم التذهيب "اللمَّاع" إذْ تجري العملية ذاتها، غير أنه بعد رفع الورقة التي يتم الدَّلْكُ من فوقها تصقل الزخرفة الذهبية بمسطرة عاجية، حتى تزيد في لمعان الذهب.

وهاتان الطريقتان تجريان على الكتابة بحبر الذهب أيضًا إذا أريد أن تكون الكتابة لماعة أوغير لماعة.. وبعد الانتهاء من التذهيب يبدأ الخطاط أو المُزَوِّقُ بتزويق ما يريد تزويقه بالألوان الزاهية، كالأزرق، والأحمر، والأخضر، وكل تلك الألوان مأخوذة من مواد طبيعية وعشبية في الغالب.

ومن أجمل الكتب المخطوطة والمزوقة بهذه العناصر: كتاب مقامات الحريري، (ويعود تاريخه إلى سنة 643 هـ)، الذي أخرجه ورسمه الفنان العراقي القدير: "يحيى الواسطي".

شروح لأهم المصطلحات الواردة في الكتاب

❖ القِرْطَاس:

كلمة ذات أصل يوناني chartes، ومعناها: ما يُكتب فيه، ويقابلها في العربية ورقة أو صحيفة، ويذكر أن في بغداد سوقًا كان يُسَمَّى: "درب القراطيس" ويقع في جانب "الكرخ"، وقد ذكره الجاحظ، والطبري، والخطيب البغدادي، كما ذكر لفظ القرطاس ابن منظور في لسان العرب (1): "القرطاس يتخذ من البردي بمصر" والقرطاس: أديم، ولغة: هو الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها.. وعُرِفَ اللفظ عند العرب القدماء، قال الشاعر:

كأن بحيث استودع الدار أهلها　　　محط زَبُورٍ من دواة وقرطاس

كما ورد ذكر القرطاس في القرآن الكريم في أكثر من آية قال تعالى: ﴿ولو نَزَّلْنَا عليك كتابًا في قِرْطَاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلا سِحْر مبين ﴾ (2)، وقال ابن النديم (3): "وكتب أهل مصر في القرطاس المصري، ويُعمل من قصب البردي، ومن الأرجح أنه كان يصنع ببغداد". وذكر اليعقوبي أن صناعة القراطيس انتقلت إلى سامراء في أيام المعتصم.

❖ الطِّرْسُ:

ويطلق على الصحيفة، أو الكتاب الذي مُحيَ ثم كُتِبَ.. وكان العرب قديمًا يكتبون على الجلود والرقوق ، وكان الرَّق - بسبب غلاء ثمنه - يُغْسَلُ أحيانًا لإزالة ما عليه من الكتابة، إمَّا بالغسيل، أو الدَّلْك، أو الكَشْط، وهذا هو ما يطلق عليه: "الطِّرس"، أي هو الصفحة من الجلد التي مُحيت الكتابة من عليها ثم أعيد كتابتها- كما ذكرنا- وقد يحدث هذا أكثر من مرة، وكان هذا يحدث في بعض النصوص القديمة، أو غير ذات القيمة.

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة: «قرطس».

(2) سورة الأنعام:7، وانظر الآية 91 من السورة نفسها.

(3) ابن النديم: الفهرست، 21/1 (طبعة لايبزج).

❖ الورق البغدادي:

سُمِّي هذا النوع من الورق بالبغدادي؛ لأنه كان يُجْلَبُ من بغداد، وكان أجود أنواع الورق، وأكثرها اتساعًا، وخصص لكتابة المصاحف، وعهود الخلفاء والمراسلات المهمة، وكان يكتب عليه أفخر المصنفات.

❖ الورق المصري:

وهو أنواع، ومنه الورق المنصوري، ويُعَدُّ أوفر الورق قطعًا وأكبره حجمًا، وكان يُصْقَل وجهاه. وسُميَّ بعض أنواع الورق المصري بالورق الفرعوني.

❖ الورق الشامي:

عرف بذلك لأنه كان يجلب من بلاد الشام، ومنه "الحموي"، الذي كان يُصنع في حماة، ثم ينتقل إلى دمشق، وهو أفضل أنواع الورق الشامي، وكان يُستعمل في دواوين الإنشاء في اليمن والحجاز، وبلاد الروم، ولايقدم كاتب السر على استعمال الورق الشامي إلا بإذن خاص.

ومن أنواع الورق الشامي، يوجد صنف يُسَمَّى "ورق الطير" وكان رقيقًا جدًا، بحيث يمكن وضعه تحت أجنحة الحمام الزاجل.

وثمة أنواع أخرى من الورق: مثل: ورق الطلعي، والسليماني، والورق الجعفري، والورق النوحي، والورق الطاهري، وكان أكثرها ببغداد.

المصادر التراثية التي أشارت إلى الخط كثيرة، ولكن التي وقفت عند الخط والخطاطين ونظرت إلى هذا الفن بعناية هي: كتاب الفهرست لابن النديم (ت380هـ)، وهو من الكتب التي ألفت بعد عصر المأمون، وصاحبه موثق عربي، حصر لنا أسماء مئات من الكتب العربية، منها ما وصل إلينا، ومنها مالم يصل، وقد سُمي ابن النديم بالوراق لاشتغاله بالورق.

وقد ذكر لنا ابن النديم عدداً من الخطاطين، وأسماء الخطوط، وأنواعها، وأخبارها.

ومن تلك الكتب المرجعية أيضًا: كتاب "صبح الأعشَى في صناعة الإنشا" لأبي العباس أحمد القلقشندي، (ت821هـ)، وقد تناول القلقشندي في مرجعه أسماء الخطوط، وحياة بعض الخطاطين القدماء وأخبارهم، وخاصة الجزأين: الثاني والثالث منه، ويبدو أن القلقشندي كانت له اهتمامات بالخط العربي، فتابع أصوله وجذوره، وتطوره، ونظر إليه نظرة العارف به، إذ يذكر تسلسل الخطاطين، وروايات عنهم اقتبسها ممن سبقه من المؤلفين.

أمَّا كتاب: "جامع المحاسن، كتابة الكُتَّاب ونزهة أولي البصائر والألباب" لمحمد ابن الحسن الشافعي، وهو كاتب وخطاط، عاش في عصر المماليك بمصر. وقد طبع الكتاب محققًا على يد الدكتور صلاح الدين المنجد عام 1962م. والكتاب فيه معلومات قيمة عن تاريخ الخط وأصوله وكيف تطور وتفرع، وأسماء الخطوط القديمة، وسواها.

ومن الكتب والمراجع الحديثة كتاب: "تاريخ الخط العربي وآدابه" للخطاط المؤرخ محمد بن طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي، فقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة، واعتمد عليه من جاء بعده من كُتَّاب ومصنفين. وقد احتوى على جملة كبيرة ونماذج نفيسة من الخطوط، إلى جانب دراسته العميقة لتاريخ الخط وتطوره، وفروعه وأصوله.

ومن المصادر المتأخرة: كتاب "تاريخ الخط العربي" للأستاذة سهيلة الجبوري، الذي طبع مرات عديدة ببغداد. وقد درست المؤلفة الخط العربي وأصوله بالأسلوب الأكاديمي، وبذلت به جهداً واضحًا. ولاتزال هذه الكتب عونًا للباحثين

والدارسين في الخط العربي.

ونهض الأستاذ المهندس ناجي زين الدين، فأخرج كتابه أو أطلسه الكبير عن الخط العربي، فكان الجامع لأصول هذا الفن ونماذجه، وقد اشتمل على 757 نموذجًا لخطوط متفرقة متنوعة لأفذاذ الخطاطين العرب والمسلمين.

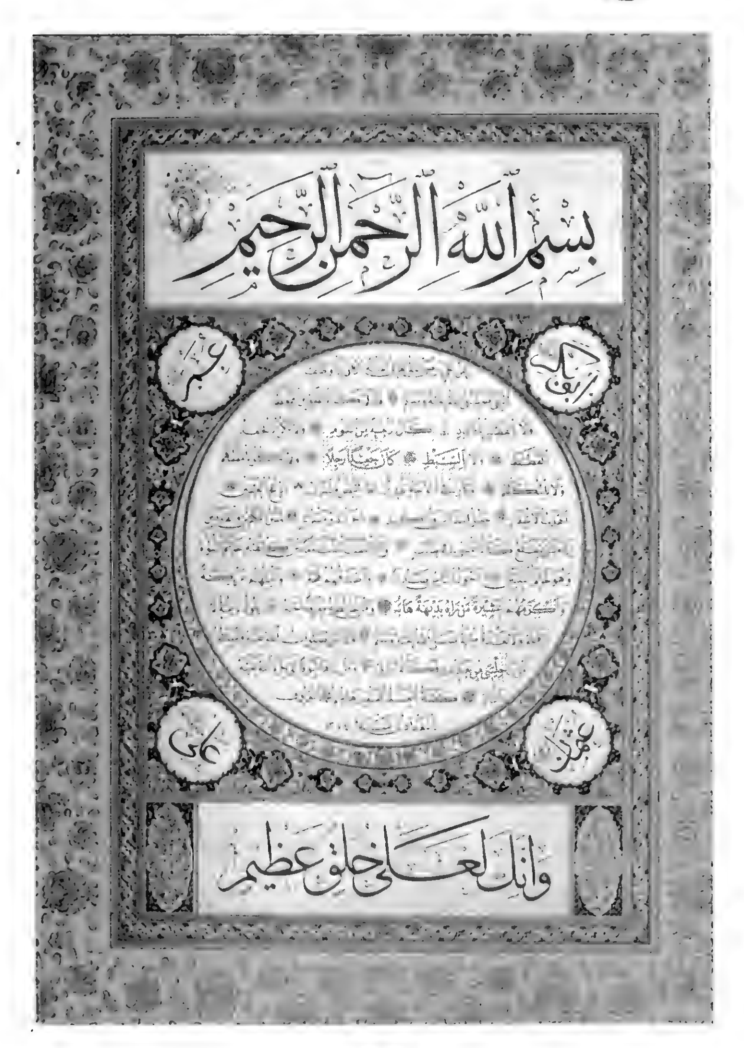
وأقرب إلى هذا الجهد جهد رفيع آخر، هو: "أطلس الخط والخطوط" لحبيب الله فضائلي، الذي ترجمه الدكتور محمد التونجي ونشره عام 1993م، وجمع به نماذج خطية متنوعة، وحرص على أن يقدم فيه أندر المعلومات عن فن الخط ومبُدعيه من كل الأقطار والأمصار، وقد اقتبسنا منه بعض اللوحات الخطية التي تشير إلى الخط العربي في عهوده الأولى، وأفدنا منه ومن غيره في إعداد هذا الكتاب.

وهناك دراسات وكتب وأبحاث لاحصر لها، كتبها الباحثون والمستشرقون، نُشرت في أوروبا، وطُبعت في عواصمها، عن الخطوط العربية، وسندرجها إن شاء الله تعالى ضمن بحث آخر مستقل عن الاستشراق والعالم العربي.

والله الموفق والمستعان.

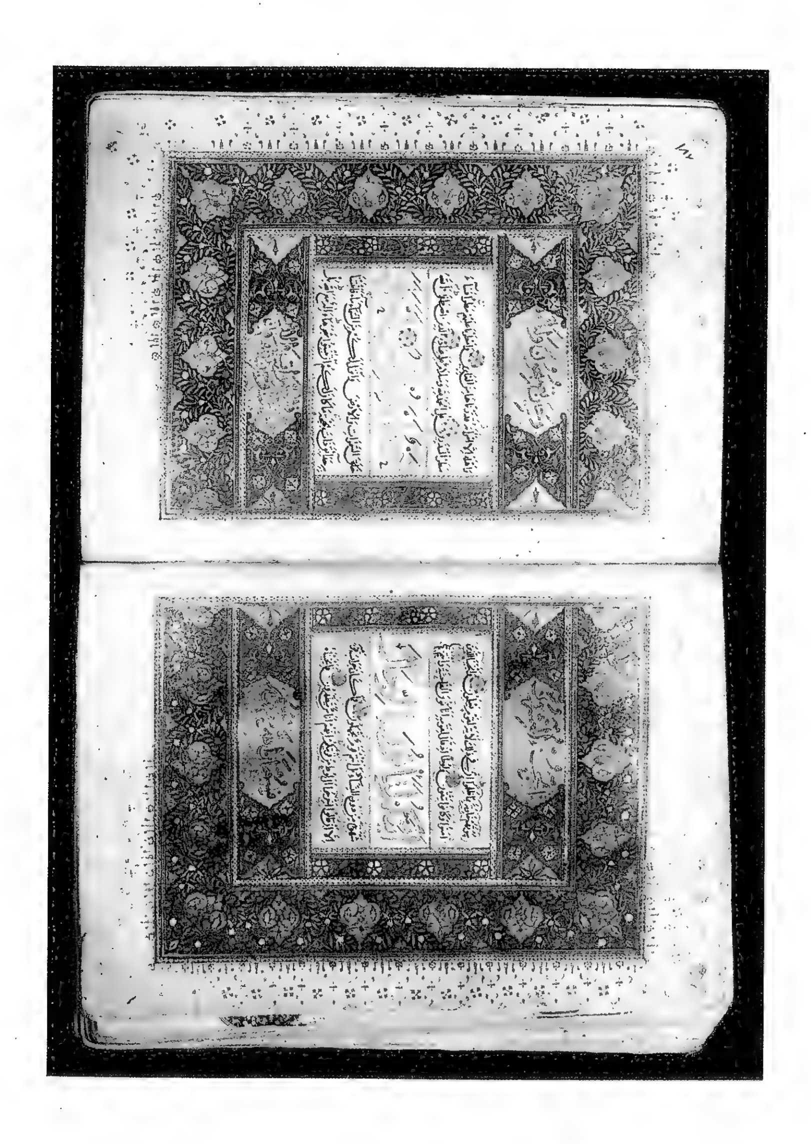
* * *

نماذج من الخطوط العربية القديمة

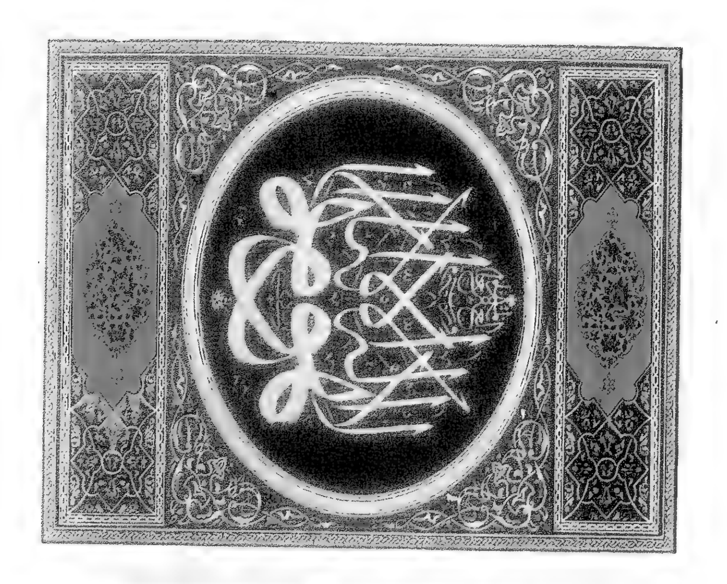


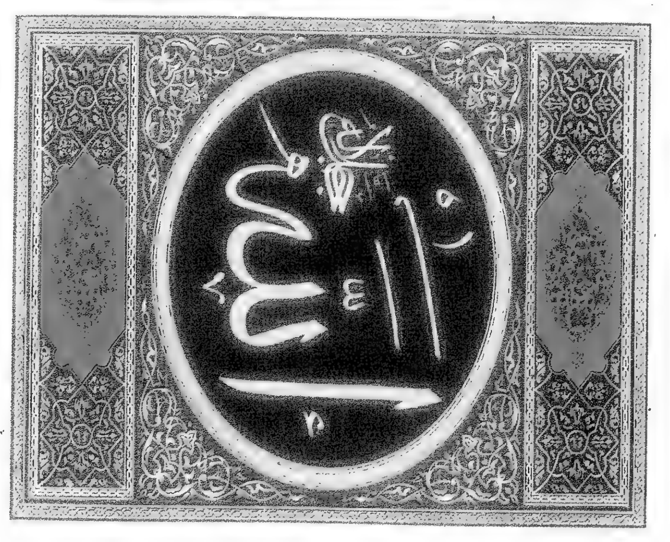




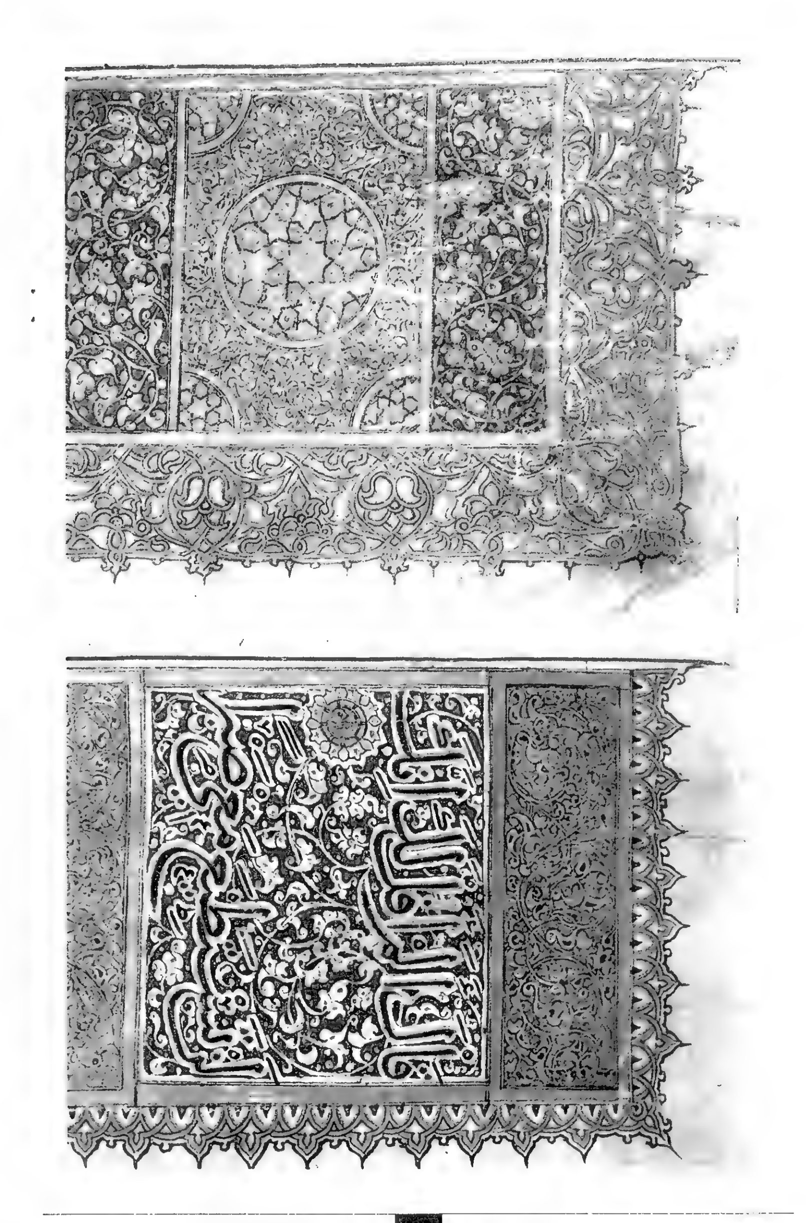




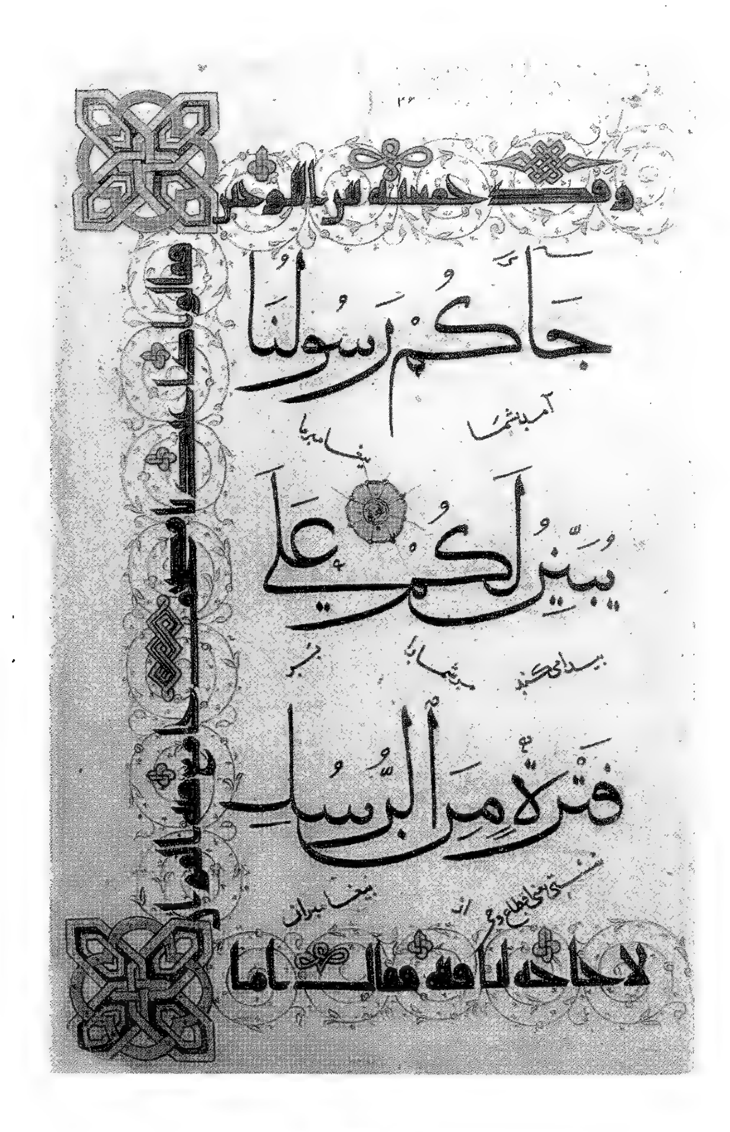




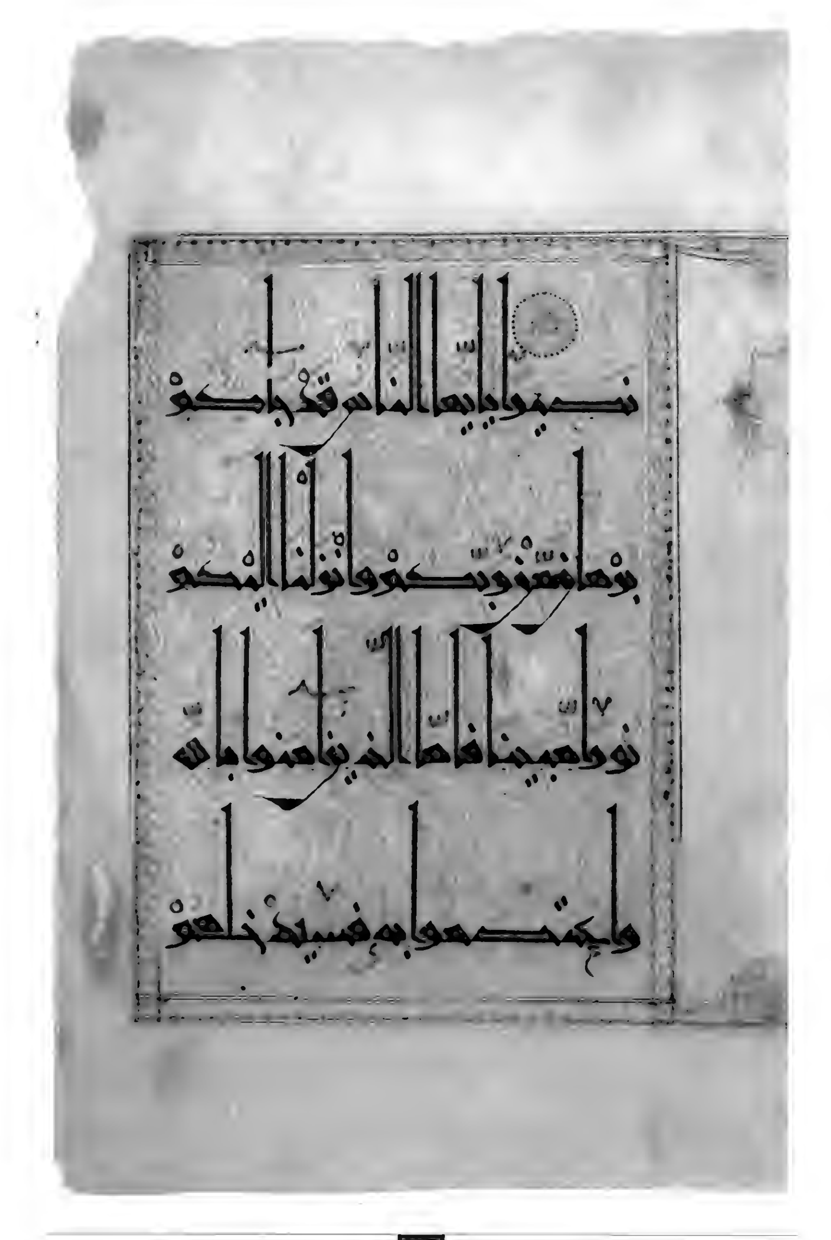







جاكم رسولنا
يبين لكم على
فترة من الرسل


اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا
وجعلني مباركا اينما
كنت واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت
حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا والسلام علي
يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا

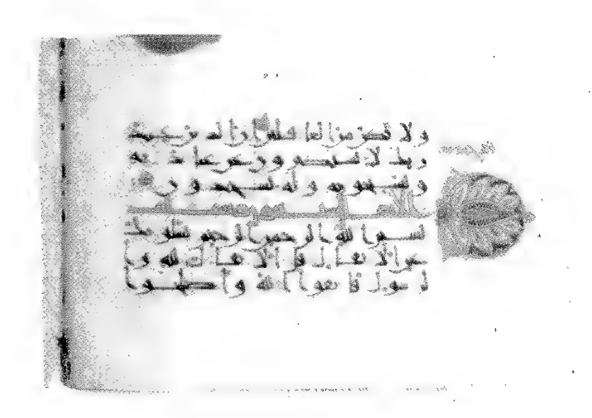


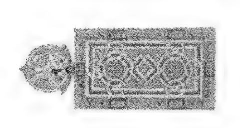


سورة الغاشية عشرون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

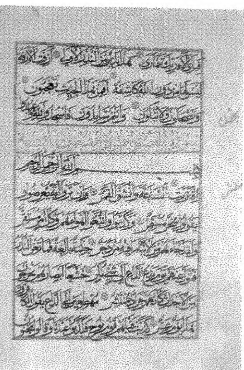
هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا
حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع
وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية
فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت
وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر
لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم

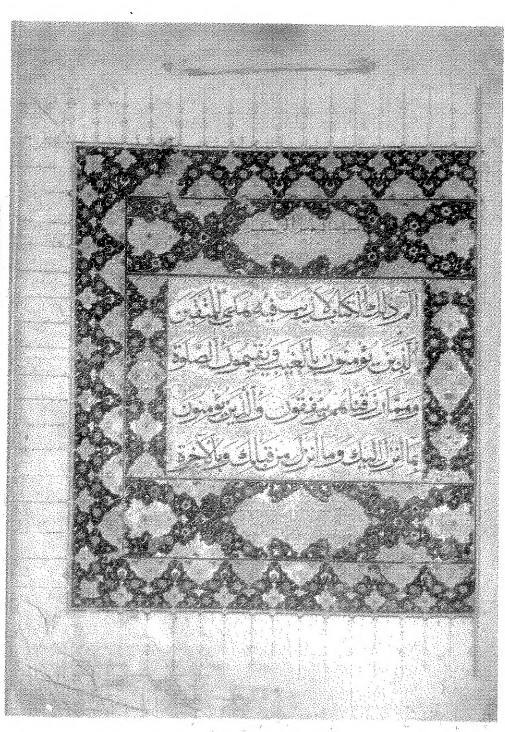




LNS 65 MS







مصادر البحث

1. المصادر العربية القديمة:

الألوسي: أبو الفضل السيد محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفةأحوال العرب ـ القاهرة، 1925م.

الآمدي: المؤتلف والمختلف: القاهرة، 1935م .

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1932م.

ابن قتيبه الدينوري: أدب الكاتب ، بيروت، 1967م، المعارف ، مصر.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، مصر 1943م.

ابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا، تجدد: 1971م.

الجهشياري: الوزراء والكتاب، القاهرة 1938م.

الحنبلي: شذرات الذهب، القاهرة.

الداني: المحكم في نقط المصاحف، دمشق 1960م.

الصولي: أدب الكاتب، مصر.

الزبيدي: تاج العروس، مصر 1306م.

القلقشندي: صبح الأعشَى ،القاهرة، 1914م.

النيسابوري: ثمار القلوب، القاهرة، 1908م.

السجستاني: كُتاب المصاحف ، مصر، 1936م.

طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ، حيدر آباد 1910م.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مصر.

2. المصادر العربية الحديثة:

الألوسي، (د. عادل): دراسات في الخط العربي (مجلةالمورد البغدادية)، 1983م.

ابن الوحيد: رأي في ابن البواب، تونس، 1967م.

أحمد يوسف: الخط الكوفي، القاهرة، 1954م.

أحمد فكري: مساجد مصر ومدارسها، القاهرة، 1965م.

البشلي، أحمد عبدالفتاح: جمال الخط العربي، القاهرة.

2. المصادر العربية الحديثة:

الألوسي، (د. عادل): دراسات في الخط العربي (مجلةالمورد البغدادية)، 1983م.

ابن الوحيد: رأي في ابن البواب، تونس، 1967م.

أحمد يوسف: الخط الكوفي، القاهرة، 1954م.

أحمد فكري: مساجد مصر ومدارسها، القاهرة، 1965م.

البشلي، أحمد عبدالفتاح: جمال الخط العربي، القاهرة.

البياتي، حسن قاسم حبش: نفائس الخط العربي، بيروت، 1992م.

الجبوري، سهيلة: تاريخ الخط العربي، بغداد، (طبع مرات عديدة).

طه باقر: تاريخ الحضارة العراقية القديمة، بغداد، 1951م.

جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، 1956م.

حسن عبدالوهاب: توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية، القاهرة، 1955م.

جمعة، إبراهيم: قصة الكتابة العربية، القاهرة، 1947م.

الدالي، (د.عبدالعزيز): البرديات العربية، القاهرة، 1983م.

دشاش، أحمد عائش: الخط العربي في الفن الإسلامي، القاهرة.

زكي محمد حسن (د.): فنون الإسلام، أطلس الفنون الإسلامية، القاهرة.

السيد (د. محمد إبراهيم): مقدمة للوثائق العربية، القاهرة، 1993م.

الصايغ، سمير: الفن الإسلامي، بيروت، 1990م.

عاشور، عبدالقادر: حروف التاج، القاهرة، 1938م.

عبادة، عبدالفتاح: انتشار الخط العربي، مصر، 1915م.

عطا الله، سمير: روائع الخط العربي، بيروت.

عفيفي، فوزي سالم: جامع الخط العربي، القاهرة.

غزلان، لطفي: الخط الديواني. القاهرة، 1934م.

فضائلي، حبيب الله: أطلس الخط والخطوط، (ترجمة د. محمد التونجي)، القاهرة.

القيسى، باهرة: صيانة الوثائق، بغداد 1984م (محاضرات ألقتها على طلبة جامعة بغداد).

الكردي، محمد طاهر: تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة، 1939م.

لفنستون، ل: تاريخ اللغات السامية، القاهرة، 1934م.

لوبون، غوستاف: حضارة العرب، (ترجمة عادل زعيتر)، القاهرة.

المخزومي، (د.): مدرسة الكوفة ومنهجها، بغداد، 1974م.

مرزوق، محمد: المصحف الشريف، دراسة تاريخية فنية، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1970م.

ناجي معروف: تاريخ الحضارة العربية، بغداد، 1968م.

هاشم محمد الخطاط: قواعد الخط العربي، بغداد، 1968م.

3- المصادر الأجنبية:

Abbott, N.: The Rise of the North Arabic Script and it's Kuranic Development, with a full description Manuscripts in the Oriental Institute. London 1990.

Grohmann, A.: 1- A survey of Arabian Art. London 1964.
2- From the world of Arabic Papyri. Cairo. 1952.

Hittite, Philip: History of the Arabs. London. 1940.

Rice, D.S.: The Unique Ibn Bawwab Manuscript in the Chester Beatty Library 1955.

Rylands, J.: Catalogue of the Arab Papyri, F.B.A, 1933.

Safadi, Y.H.: Islamic Calligraphy - Thames and Hudson, 1993.

Sauvaget, J.: Introduction to the histoy of the Muslim East, University of California, Press 1965.

Spuler,B.: The Muslim World, Leiden, 1960.

* * *

الدكتور عادل الألوسي

1. ولد في بغداد، الكرخ (سوق حمادة) عام 1944م.
2- من الأسرة الألوسية العريقة في العراق، جدّه أبو الثناء الألوسي: مفتي العراق، ومفسر القرآن الكريم: "روح المعاني".
3. تخرج في مدارس الدين والعلم والفقه والتراث.
4. بكالوريوس آداب، ولغة عربية، والأرشيف، من جامعة لندن.
5. درس التاريخ والفلسفة وعلم النفس والفنون.
6. عمل خبيراً في مكتبات جامعات كمبردج وأكسفورد ولندن.
7. ماجستير في الوثائق والمكتبات والأرشيف، من جامعة لندن.
8. حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، والتراث العلمي العربي.
9. أستاذ الحضارة والتاريخ العربي والأدب في الجامعات والمعاهد والكليات، وقام بتدريس مادة الوثائق التاريخية في معهد التاريخ العربي للدراسات العليا ببغداد.
10. نشر عشرات المقالات في كبريات الصحف العالمية: العربية والأوربية.
11. رأس تحرير عدد من الصحف والمجلات.
12. شارك في منتديات عالمية، ومؤتمرات إقليمية في عدد من الدول، منها: اليونسكو (باريس)، والقاهرة، ولندن.
13. عمل في السلك الدبلوماسي في لندن والقاهرة.
14- له مؤلفات كثيرة في الحضارة والاستشراق، والأدب العربي، والتصوف الإسلامي، والفن التشكيلي، والموسيقي، والخط العربي، وله ثلاثة دواوين شعرية.
15. أشرف على رسائل جامعية كثيرة في الماجستير والدكتوراه.

* * *